أجاثا كريستي

مصرع الكولونيل بروثير و

دار النجمة للنشر والتوزيع

مصرع الكولونيل
بروثيرو

بسم الله الرحمن الرحيم

أجاثا كريستي

مصرع الكولونيل بروثيرو

دار النجمة للنشر والتوزيع

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر:
دار النجمة للنشر والتوزيع

يُمنَع تصوير أو إعادة إنتاج هذا الكتاب
ورقياً أو إلكترونياً إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

للاستفسار والطلبات التجارية
AgathaBooks@sardira.com

الفصل الأول

ليس من السهل تحديد الوقت الذي بدأت فيه أحداث هذه القصة، ولكنني اخترت للبداية ظُهر أحد أيام الأربعاء حين كنّا نتناول طعام الغداء في بيتي، فقد تضمّن حديثنا حول المائدة موضوعات عديدة، كما تضمّن إشارة أو إشارتين لهما صلة وثيقة بالأحداث التي وقعت فيما بعد.

كنتُ قد فرغت من قطع شريحة اللحم حين خطر على ذهني خاطر لا يليق برجل يرتدي زيّ القسيس ويعمل مثلي في خدمة الكنيسة، فقلت: إن الشخص الذي يقتل الكولونيل بروثيرو سوف يؤدي للإنسانية خدمة عظيمة.

وعندئذ هتف دنيس ابن أخي (وهو شاب في السادسة عشرة من عمره): هذا كلام خطير يا عمّاه، ويمكن أن يؤخَذ عليك إذا وُجد الكولونيل غريقاً في بحيرة من الدماء يوماً ما، وها هي ماري تستطيع أن تشهد بأنك كنتَ تلوّح بالسكين في يدك وأنتَ تقول هذا الكلام، أليس كذلك يا ماري؟

ولكن ماري لم تُجِب وراحت توزّع الخضر علينا في صمت فقالت زوجتي: أتُراه أقدَم على عمل جديد من أعماله المزعجة؟

لم أجبها على الفور؛ ففي تلك اللحظة كانت ماري تقدّم لي فطيرة لا تثير الشهية فقلتُ لها: لا، شكراً لك.

فوضعَت ماري الفطائر على طرف المائدة بغلظة وانصرفت، فقالت زوجتي وفي صوتها نبرة حزم: ممّا يُؤسف له أنني لست ربّة بيت ماهرة.

وكان ذلك أيضاً هو رأيي فيها. اسم زوجتي غريزلدا، وهو اسم مناسب لزوجة قسّ، ولكنها كانت -فيما عدا ذلك- مجرَّدة من أية صفة تلائم مركزنا وحياتنا الاجتماعية، ودائماً كان رأيي أن القس لا ينبغي أن يتزوج. وإلى الآن لستُ أدري ما الذي حملني على أن أتوسل إلى غريزلدا لتقترن بي ولم تنقضِ أربع وعشرون ساعة على أول لقاء بيننا! إن الزواج أمر خطير ولَا يجب أن يُقدم عليه الإنسان إلا بعد تفكير طويل، وبعد أن يتحقق من تشابه الميول والأمزجة.

كانت غريزلدا أصغر منّي بعشرين عاماً وعلى جانب كبير من الجمال، ولكنها لا تستطيع أن تنظر إلى أي أمر نظرة جادّة. وقد حاولتُ أن أقوّمها وأرشدها، ولكني فشلت فقلت لها: ليتكِ فقط تستطيعين الاهتمام بشؤون البيت ولو قليلاً.

- لقد حاولتُ، ولكن كان اهتمامي يؤدّي إلى نتيجة عكسية دائماً، والواقع أنني لا أصلح ربّة بيت، ولذلك قررتُ أن أدع ماري تفعل ما تشاء، على أن أرضى بما تقدّمه لي من طعام.

- وزوجك المسكين؟

- أنت أحسن حظاً من سواك، فمن رجال الدين من تمّ إحراقه حيّاً أو أكلته الأسود. الطعام الرديء والغبار والتراب... كل ذلك

أشياء تافهة لا ينبغي أن تثير سخطك. والآن أخبرني، ماذا فعل بك الكولونيل بروثيرو؟

فقال دنيس: هذا الرجل حيوان عجوز، ولا عجب أنّ زوجته الأولى قد هجرته.

فقالت زوجتي: لا أعتقد أنه كان بوسعها أن تفعل غير ذلك.

ثم نظرت إليّ وقالت: ماذا حدث بينك وبين الكولونيل بروثيرو أيها العزيز؟ هل وقع بينكما خلاف جديد بسبب السيد هاوس الذي لا يكفّ عن انتقاد كل ما يقع تحت بصره؟

كان هاوس هو الشمّاس الجديد الذي نُقل إلى كنيستنا منذ ثلاثة أسابيع، وكان شديد الحرص على بعض التقاليد الكنسيّة القديمة التي لا يُقرّها الكولونيل فأجبتُ: لا، ولكنه أدلى بتلميحات لم ترُق لي في معرض الحديث عن موضوع السيدة برايس ريدلي، وكانت السيدة برايس ريدلي قد تبرّعَت للكنيسة بعشرين شلناً عقب القدّاس الذي أُقيم بمناسبة مرور عام على وفاة ابنها، ولكنها دُهشت عندما أُعلنَت قوائم التبرعات ووجدت أن أكبر مبلغ سُجّل في القائمة هو عشر شلنات، وقد شكَت إليّ فحاولتُ إقناعها بأنها ربما أخطأت في ورقة النقد التي قدّمَتها، وقلت لها لأنهي الموضوع بلباقة: لقد تقدمَت بنا السن يا سيدة ريدلي، والخطأ والنسيان هما ضريبة الشيخوخة.

ومن العجيب أن هذه العبارة أثارتها بدلاً من أن تهدّئها، فقالت إن الأمر يبعث على الريبة وإن ما يدهشها هو أنني لم أقف في صفها، ويبدو أنها روت الموضوع للكولونيل بروثيرو، وهو

رجل يجد لذة خاصّة في إثارة الفضائح.

قالت زوجتي في محاولة لتلخيص الموقف دون تحيّز: لا عجب في ذلك؛ فهو لا يجد مَن يلتفّ حوله ويناديه: «أيها الرجل العزيز»، ولا مَن يصنع جوارب من صوف يهديها إليه في أعياد الميلاد، وقد ضاقت به زوجته وابنته، فمن الطبيعي أن يجد متعة الإحساس بأنه مهمّ في ناحية ما.

- هذا لا يبرّر إساءة الظن بالآخرين، ولكنني أرجّح أنه لم يكن يدرك خطورة كلامه، فقد طالب بمراجعة حسابات الكنيسة بدعوى أنه يمكن أن يكون في الأمر اختلاس، أجل، لقد استخدم كلمة اختلاس، فيا تُرى هل يظنّ أنني أختلس أموال الكنيسة؟!

- لا أحد يظن ذلك أيها العزيز، فأنت فوق الشبهات إلى حدّ تستطيع معه أن تفعل كل ما تريد.

- سيحضر بروثيرو إلى هنا مساء غد لكي نراجع الحسابات معاً، أما الآن فيجب أن أتفرّغ لإعداد موعظة المساء، فماذا ستفعلين أنت يا غريزلدا؟

- سأؤدّي واجبي كزوجة قس، سأعدّ الشاي والحلوى وأنتظر المدعوّين.

- مَن الذين دعوتهم لتناول الشاي؟

راحت تُحصي على أصابع يدها قائلة: السيدة برايس ريدلي، والسيدة ويذرباي، والسيدة هارتنل، والآنسة ماربل الرهيبة.

فقلت: الآنسة ماربل هي أفضلهن جميعاً، فهي تقدّر روح الدعابة على الأقلّ.

- ولكن لها أسوأ لسان في القرية، فهي تعرف كل ما يحدث وتستخلص منه أسوأ النتائج.

كانت غريزلدا أصغر منّي سناً كما قلتُ، والأسوأ في نظرها كان في نظر رجل في مثل سنّي هو الأصدق والأفضل غالباً. ثم قال دنيس محدّثاً غريزلدا: على كل حال يجب أن تُسقطيني من حسابك في حفلة الشاي لأنني مدعوّ للعب التنس مع ابنة بروثيرو.

قال ذلك ثم نهض واستأذن في الانصراف، وانتقلتُ مع زوجتي إلى قاعة المكتب حيث قالت: أنا أتوقع أن يأتي الطبيب ستون والسيدة كرام كذلك، وربما جاءت السيدة لترانغ أيضاً. بالمناسبة، لقد ذهبتُ لزيارة السيدة لترانغ أمس فلم أجدها في بيتها. أنا أعجب من سبب اختيارها هذه القرية للإقامة بها في بيت لا تغادره إلا نادراً؟! إنها تذكّرني ببطلات القصص البوليسية اللائي يتساءل الناس عنهن قائلين: "مَن تلك المرأة الغامضة ذات الوجه الشاحب الفاتن؟ ما ماضيها؟" ولا أحد يعلم، ولكن ما من شك في أن جوّاً من الريبة يحيط بها.

وصمتَت غريزلدا قليلاً ثم قالت: لكنني أعتقد أن الطبيب هايدوك يعرف الكثير عن تلك المرأة.

- أنت تسرفين في قراءة القصص البوليسية يا غريزلدا.

- وماذا تفعل أنت؟ لقد كنت أبحث عن قصّة «بقعة دماء على الدرَج» منذ بضعة أيام، وكنتَ أنت في مكتبك تُعدّ موعظة اليوم التالي، فذهبتُ إليك لأسألك عمّا إذا كنتَ قد رأيتَ القصة فماذا وجدت؟

فأجبتُ بخجل: لقد عثرتُ عليها مصادفة ولفتَت نظري

عبارة فيها.

فقالت ضاحكة: أنا أعرف هذه المصادفات، كما أعرف العبارات التي تلفت النظر في القصص البوليسية.

ثم استطردَت قائلة بلهجة تمثيلية: ومن ثَمّ حدث أمر غريب، فقد نهضت غريزلدا من مقعدها فاجتازت الغرفة وقبّلَت زوجها العجوز.

قالت ذلك وقرنت القول بالفعل فسألتُها: وما وجه الغرابة في ذلك؟

- وجه الغرابة يا ليونارد أنه كان في استطاعتي أن أتزوج وزيراً أو لورداً أو رجلاً ثرياً من أصحاب الشركات كما تعلم، ولكنني فضّلتك على أولئك جميعاً. ألم يدهشك ذلك؟

ضحكت فأجابَت مستطردة: فعلتُ ذلك لأن الآخرين كانوا يروننني امرأة غير عادية يطيب لهم الاقتران بها، أمّا أنتَ فقد كنتُ في نظرك مثالاً لكل ما تضيق به وتنفر منه، ولكنك مع ذلك أحببتني وشعرتَ بأنك لا تطيق الحياة دوني، فدفعني الغرور إلى مواجهة التحدّي وقلتُ لنفسي إنه فضل لي أن أكون بالنسبة إلى زوجي نقطة ضعفه ومحور متعته من أن أكون أحد مظاهر خيلائه وصلفه. أنا أضايقك كثيراً وأثير أعصابك في بعض الأحيان، ولكنك رغم ذلك تهيم بي حباً، أليس كذلك أيها العزيز؟

- الواقع أنني أحبك كثيراً.

- بل أنت متيَّم بي. هل تذكر يوم ذهبتُ إلى لندن وقررتُ أن أقضي الليلة عند إحدى صديقاتي وأبرقتُ إليك بذلك، ولكن

البرقية لم تصلك لأن موظَّفة مكتب البريد ذهبَت إلى المستشفى لزيارة أختها التي وضعت توأمين؟ هل تذكر كيف كانت حالك في تلك الليلة؟ لقد جُنّ جنونك فاتصلتَ هاتفياً باسكتلنديارد وطلبتَ منهم البحث عنّي، وأقمتَ الدنيا وأقعدتَها.

توجد أحداثاً يكره الإنسان أن يذكّره بها أحد، وقد كانت تصرفاتي في هذا الحادث الذي ذكرَته غريزلدا تدعو إلى الرثاء حقاً فقلت لها: معذرة يا غريزلدا، فأنا أودّ إتمام موعظة المساء.

فهتفَت قائلة: أجل، أنت لا تقدّرني كما ينبغي، فكن على حذر وإلا قمتُ بمغادرتك مع ذلك الفنان وأثرْتُ فضيحة مدوّية يتردد صداها في أنحاء القرية.

- أظن أن لدى القرية من الفضائح ما يكفيها.

فانفجرت ضاحكة وأرسلَت إليّ قبلة في الهواء وانطلقت إلى الخارج.

* * *

الفصل الثاني

لم أكَد أبدأ في إعداد موعظتي حتى دخلَت ليتيسيا بروثيرو كالريح، وأقول كالريح لأن ذلك أصدق وصف للمراهقين ذوي الشباب المتوثّب والحيوية الدافئة كما تصوّرهم القصص التي أقرأها عنهم. وكانت ليتيسيا فتاة طويلة القامة شقراء، وعلى جانب كبير من الجمال. لقد دخلَت كالريح من باب الحديقة فخلعَت قبعتها وهتفت بشيء من الدهشة: أهذا أنت؟

كان وسط الغابة ممرّ يوصل بين قصر الكولونيل بروثيرو المعروف باسم القصر القديم وحديقتنا، بل ويمتدّ إلى نافذة غرفة المكتب، فيوفّر على السائر عناء القيام بحركة التفاف كبيرة للوصول إلى باب بيتنا، ولم يدهشني أن تجيء ليتيسيا عن طريق ذلك الممر، وإنما أدهشني أنها دُهشت عندما أبصرَتني، فقلتُ لها: عندما تجيئين إلى بيت قس الكنيسة فيجب أن تتوقعي مقابلة القس.

فقالت وهي تتهالك على أحد المقاعد: هل دنيس هنا؟

- أنا لم أرَه بعد الغداء، وقد ظننت أنه ذهب ليلعب التنس معك.

- أرجو أن لا يكون قد ذهب لأنه لن يجد أحداً بالبيت.

- ولكنه قال لنا إنك دعوته للعب التنس.

- ربما، ولكن الدعوة كانت ليوم الجمعة، أما اليوم فهو الثلاثاء.

- لا، اليوم يوم الأربعاء.

- يا إلهي! هذه ثالث مرة أتخلف فيها عن تلبية دعوة للغداء عند بعض الأصدقاء.

لم تعِر الأمر مزيداً من الاهتمام وسألت: هل غريزلدا هنا؟

- أعتقد أنك ستجدينها مع لورنس ريدنغ في المرسم في ركن الحديقة.

- لقد قامت مشادّة حادّة بين أبي وبيني بشأن لورنس ريدنغ، وأنت تعرف أبي وتعرف مدى عُنفه.

- هل كانت المشادّة بسبب امرأة؟

- لا، وإنما كانت بسبب صورة رسمها لي لورنس وأنا مرتدية ثوب البحر.

وصمتَت قليلاً ثم استطردت قائلة: لقد حظر عليه أبي دخول بيتنا بسبب تلك الصورة، وكم ضحكتُ أنا ولورنس بسبب هذا! وقد جئتُ الآن لكي يُتمّ صورتي في مرسمكم.

- ولكن ما دام أبوك يعارض هذا الأمر فمن واجبي أن أعارضه كذلك.

فتنهدت وقالت: يا إلهي، كم أنتم مزعجون! لقد تعبتُ تماماً، ولو كان لدي بعض المال لرحلتُ، ولكنّني لا أستطيع

شيئاً دون نقود. ليت أبي يموت! كل شيء سيكون على ما يرام إذا مات.

- كيف تقولين كلاماً كهذا يا ليتيسيا؟

- إذا أراد أن لا أتمنى له الموت فيجب أن لا يكون قاسياً إلى هذا الحد، ولم يعُد يدهشني أن أمي هجرته. هل تعلم أنني ظللت طَوال سنوات عديدة أعتقد أنها ماتت؟ وبالمناسبة، كيف كان شكل الشاب الذي هربَت معه؟ هل كان وسيماً؟

- وقعت هذه الأحداث قبل قدوم أبيك إلى هذه المنطقة.

- أنا أتساءل عن مصير أمي، ولكنني أعتقد أن آن زوجة أبي سوف تحذو حذوها قريباً. آن تمقتني، صحيح أن سلوكها معي لا غبار عليه ولكنها تمقتني، فقد تقدمَت بها السن وذلك ما يضايقها، وسوف يأتي الوقت الذي تُضطر فيه إلى الكفّ عن التظاهر بالشباب.

ثم بدأتُ أتساءل عمّا إذا كانت ليتيسيا تعتزم قضاء بقية النهار في مكتبي فإذا بها تقول: هل رأيت أسطواناتي؟

- لا.

- هذا مزعج حقاً. لقد تركتُها في مكان ما، وكذلك فقدت كلبي وساعتي بنفس الطريقة، ولكن لا أهمية للساعة فقد كانت لا تعمل على أية حال. يا إلهي! كم أودّ أن أنام! رغم أنني استيقظت في الساعة الحادية عشرة صباحاً. لقد أصبحَت الحياة متعبة، أليس كذلك؟ سأنصرف الآن؛ يجب أن أذهب لرؤية حفريات الدكتور ستون في الساعة الثالثة.

نظرتُ إلى ساعة على مكتبي وقلتُ لها إن الساعة قد قاربت الخامسة فصاحَت: حقاً؟ هذا مخيف! تُرى هل ينتظرونني أم أنهم ذهبوا دوني؟ لعلّ الأفضل أن أتحقق بنفسي.

ثم هبّت واقفة وانطلقت إلى الخارج. وقد اتجه تفكيري بعد انصرافها إلى الدكتور ستون عالم الآثار المعروف الذي قدِم منذ فترة وجيزة للبحث عن الآثار في حدائق الكولونيل بروثيرو، وقد نزل مع سكرتيرته الآنسة كرام في أحد الفنادق.

لقد وقعَت مشاحنات كثيرة بين الدكتور ستون والكولونيل، ولذلك أدهشني أن يدعو ليتيسيا لمعاينة عمله، وكنت أعلم أن ليتيسيا فتاة متعجرفة، ولم أتمالك نفسي من أن أتساءل كيف ستكون العلاقة بينها وبين الآنسة كرام؟ الآنسة كرام فتاة في الخامسة والعشرين ممتلئة نشاطاً وحيوية، وقد تضاربت الأقوال في حقيقة صلتها بالدكتور ستون، فقال البعض إنها فتاة جادّة، وقال آخرون إنها ستصبح زوجته في وقت قريب، ومهما يكن من أمر فقد كانت على طرفَي نقيض مع ليتيسيا من جميع الوجوه، أما آن الزوجة الثانية للكولونيل بروثيرو فكانت امرأة ذات جمال فريد، ولكن العلاقة بينها وبين ليتيسيا لم تكن طيبة.

كنتُ أفكّر في كل ذلك عندما أقبل الشمّاس الجديد السيد هاوس، وقد كان يريد معرفة ما جرى بيني وبين الكولونيل بالتفصيل. وبعد انصرافه لاحظتُ أن عقربَي الساعة يشيران إلى الخامسة إلا ربعاً، ولكن الوقت الحقيقي كان الرابعة والنصف لأنني تعودتُ تقديم عقربَي الساعة خمس عشرة دقيقة، فنهضتُ عن مكتبي وذهبت إلى قاعة الاستقبال، فوجدت غريزلدا ومدعوّاتها حول مائدة الشاي، فسلمت عليهنّ وجلست بين

الآنسة ماربل والسيدة ويذرباي.

كانت الآنسة ماربل سيدة عجوزاً تبدو في ظاهرها لطيفة وديعة بعكس السيدة ويذرباي التي كانت مزيجاً من المرارة والعنف، لكن الآنسة ماربل كانت أخطر الاثنتين. قالت غريزلدا بصوت معسول: كنّا نتكلم عن الدكتور ستون والآنسة كرام.

فقالت السيدة ويذرباي بلهجة استنكار: الفتاة الشريفة لا تفعل ذلك.

ثم زمّت شفتيها، فسألتُها عن قصدها فقالت موضّحة: عليها ألاّ تعمل سكرتيرة لرجل عزَب.

قالت الآنسة ماربل: لا يجب أن تنسي أيتها الصديقة أن الرجال المتزوجين أسوأ من غيرهم. ألا تذكرين قصة تلك الفتاة التعسة مولي كارثر.

- لا شك أنك تعنين الأزواج المنفصلين عن زوجاتهم؟

- بل وأعني كذلك أولئك الذين يعيشون مع زوجاتهم، وأنا أذكر...

فقلتُ مقاطعاً لكي أُغيّر مجرى هذا الحديث الذي ينمّ عن فساد الذوق: الرأي عندي أن الفتاة في هذا العصر تستطيع أن تعمل في أية وظيفة كالرجال تماماً.

فقالت السيدة ريدلي مستنكرة: حتى لو اقتضت الوظيفة أن ترافق رجلاً عزَباً وأن تقيم معه في نفس الفندق؟

فهمست السيدة ويذرباي في أذن الآنسة ماربل قائلة: وغرفتاهما في نفس الطابق.

وتبادلتا نظرة ذات مغزى ثم قالت السيدة هارتنل بصوت مرتفع: سوف يجد الرجل المسكين نفسه في الفخّ دون أن يشعر، فهو ساذج كالأطفال.

ثم قلبَت شفتها واستطردت قائلة بغير كياسة: هذا أمر يدعو إلى التقزز، فهو أكبر منها بخمسة وعشرين عاماً على الأقل.

ولكنها لم تمضِ في حديثها إلى أبعد من ذلك، فقد اختلطَت أصوات النساء الثلاث الأخريات في مناقشات مختلفة، ثم نظرَت الآنسة ماربل إلى زوجتي بخبث وقالت غريزلدا: ألا تعتقدين أن الآنسة كرام تعمل من أجل الوظيفة وحدها وأنها لا تنظر إلى الدكتور ستون إلاّ كرئيس؟

وهنا صمتت النساء جميعاً، ويبدو أنهن لم يشاطرن زوجتي هذا الرأي، وأخيراً قطعَت الآنسة ماربل حبل السكوت وهي تضع يدها على ساعد زوجتي وقالت: أنت ما زلت في مقتبَل العمر يا عزيزتي ولك براءة الشباب.

- أتظنين حقاً أن الآنسة كرام تسعى للاقتران بهذا الرجل الأصلع المزعج؟

- ما أظنه هو أنه رجل ثري، ويخيَّل إليّ كذلك أنه على خُلق. هل تعلمين أن مناقشة عنيفة احتدمت بينه وبين الكولونيل بروثيرو منذ أيام؟

فاشرأبّت أعناق النساء لسماع المزيد فقالت الآنسة ماربل: لقد اتهمه الكولونيل بالغباء.

فقالت السيدة ريدلي: هذا أمر لا يُستغرب من بروثيرو.

وقالت السيدة ويذرباي: هل صحيح أنه تشاجر كذلك مع ذلك الفنّان الشابّ المدعوّ ريدنغ؟

فأومأت الآنسة ماربل برأسها علامة للإيجاب وقالت: لقد طرده الكولونيل من بيته لأنه رسم صورة لابنته ليتيسيا بملابس البحر.

فحبسَت النساء أنفاسهن دهشة وفضولاً ثم قالت السيدة ريدلي: كنتُ دائماً أرتاب في وجود صلة بين الفنّان وليتيسيا، فقد كان دائم التردد على القصر القديم، وممّا يؤسف له حقاً أن أم الفتاة ليست معها وزوجة الأب لا يمكن أبداً أن تكون كالأم.

فقالت السيدة هارتنل: ولكنني مع ذلك أعتقد أن آن تبذل قصارى جهدها لإرضاء ابنة زوجها.

فقالت السيدة ريدلي: هذا صحيح، ولكن الفتيات ماكرات وخبيثات.

وقالت السيدة ويذرباي: يا لها من مأساة! ومع ذلك يخيَّل إليّ أن الشابّ لا بأس به ولا غبار عليه.

فصاحت السيدة هارتنل: بل هو شاب منحلّ ولا يمكن أن يكون غير ذلك، أوليس فناناً؟

فقالت السيدة ريدلي: على كل حال لم يكن من اللائق أن يرسم صورة للفتاة في ثوب البحر.

فقالت غريزلدا: إنه يرسم صورة لي أيضاً.

فقالت الآنسة ماربل: ولكن ليس بملابس البحر أيتها العزيزة.

ثم سألتني الآنسة ماربل: هل حدّثتك ليتيسيا العزيزة عن متاعبها؟ لقد رأيتها تدخل إلى مكتبكَ من باب الحديقة.

كانت الآنسة ماربل ترى كل شيء بحجّة ولعها بفلاحة البساتين، وكانت تستخدم منظاراً مكبّراً بدعوى اهتمامها بمراقبة الطيور. أجبتها ببساطة وإيجاز: نعم.

- كذلك خُيّل إليّ أن السيد هاوس يبدو متعَباً، وأرجو أن لا يكون العمل قد أرهقه.

وهنا صاحت السيدة ويذرباي بانفعال: عندي نبأ نسيتُ أن أذكره لكم. لقد رأيتُ الطبيب هايدوك خارجاً من بيت السيدة لترانغ.

فتحوّلت إليها جميع الأنظار، وأخيراً قالت السيدة ريدلي: لعلها مريضة.

فقالت السيدة هارتنل: إذا صحّ ذلك فلا بدّ أنها مرضت فجأة؛ فقد رأيتها تتنزّه في حديقتها نحو الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم، وقد كانت تبدو في صحة جيدة.

فقالت السيدة ريدلي: لا بدّ أن بينها وبين الطبيب هايدوك صداقة قديمة، ولكنه رجل كتوم لا ينطق بكلمة في هذا الصدد.

فقالت غريزلدا بصوت خافت ولهجة غامضة جعلت الأخريات ينحنين إلى الأمام ويرهفن آذانهن: الواقع أنني أعرف القصة كلها. لقد كان زوجها مبشّراً والتهمه آكلو لحوم البشر، ثم اتخذها زعيم القبيلة زوجة له، وكان الطبيب هايدوك في بعثة هناك فأنقذها.

فران على الجميع سكون عميق مقرون بالدهشة إلى أن قالت الآنسة ماربل لزوجتي مؤنّبة: أيتها الخبيثة، ليس من الحكمة أن تروي مثل هذا القصص الخيالية، فقد يصدّقها البعض فيكون لذلك ردّ فعل لا تُحمَد نتائجه.

فساد الصمت مرة أخرى، ثم نهضَت اثنتان من المدعوات فاستأذنتا في الانصراف، وقالت السيدة ويذرباي: ما زلتُ أعتقد أن بين لورنس ريدنغ وليتيسيا علاقة. ما رأيك أنت يا آنسة ماربل؟

فأطرقت الآنسة ماربل برأسها مفكّرة ثم أجابت: لا أظن ذلك. إن له علاقة، ولكن مع شخص آخر غير ليتيسيا.

- ولكن لا بدّ أن الكولونيل ظنّ أن هذه العلاقة مع ابنته، أليس كذلك؟

- لقد كنتُ دائماً أشعر أن الكولونيل رجل غبيّ، فهو من الرجال الذين يضعون في رؤوسهم فكرة خاطئة ولا يتحوّلون عنها. هل تذكرين حادث جو باكنيل، صاحب الفندق الذي ملأ الدنيا ضجيجاً حين ظن أن ابنته تغازل بايلي الشابّ، ثم ظهر أن التي تغازل الشاب هي زوجته؟

كانت تتكلم وهي تحملق إلى وجه زوجتي حتى كدتُ أن أثور غضباً! تُرى هل كانت تلمّح إلى وجود علاقة بين غريزلدا ولورنس ريدنغ؟ فقلت لها: ألا ترين يا آنسة ماربل أننا أطلقنا العنان لألسنتنا أكثر ممّا ينبغي؟ إن الدين ينهانا عن إساءة الظنّ بالناس كما تعلمين، كما أن ترديد مثل هذه الشائعات فيه إساءة للآخرين.

فأجابت الآنسة ماربل: أيها القس العزيز، أنت في مركز يضعك فوق هذه الأمور الدنيوية، أما أنا التي أرقب الطبائع البشرية

منذ وقت طويل فلا أتوقع من الناس خيراً كثيراً. صحيح أن الثرثرة ليست إحدى الفضائل، ولكنها كثيراً ما تعبّر عن الواقع، أليس كذلك؟

قالت ذلك ونهضَت واقفة ثم استأذنت بالانصراف.

* * *

الفصل الثالث

ما كاد الباب يُغلَق وراء المدعوّات حتى قالت غريزلدا: يا لهنّ من عوانس شريرات!

ثم التفتت إليّ وانفجرت ضاحكة وقالت: هل حقاً أنت لا ترتاب في أنني أغازل لورنس ريدنغ؟

- طبعاً لا أرتاب أيتها العزيزة.

- ومع ذلك قد ظننتَ أن الآنسة ماربل كانت تعنيني حين لمّحت إلى وجود علاقة بين لورنس وإحدى السيدات فبادرتَ بالدفاع عنّي كالنمر الهائج.

فشعرتُ بشيء من الضيق إذ ليس من المألوف تشبيه رجل الدين بنمر هائج، ولكنني كنتُ واثقاً من أن غريزلدا قد بالغت في الوصف، غير أنني انتهزتُ تلك الفرصة لكي أقول لها مؤنّباً: ألا ترين أنه من الواجب أن تكوني أشدّ حذراً فيما تقولين يا غريزلدا؟

- أتعني ما ذكرتُه عن قصّة آكلي لحوم البشر أم تعني ما ألمحتُ إليه عن صورة يرسمها لي لورنس؟ كم أودّ أن أرى وجوههن حين يعلمن أن الصورة تمثلني في معطف كثيف ذي ياقة

عالية، معطف لا يكشف عن أيّ جزء من الجسم ويمكن المثول به بين يدَي البابا نفسه! أضف إلى ذلك أن لورنس لم يحاول أن يغازلني قط، ولكنني أتساءل عن السبب.

- لا شكّ أن السبب هو أنك امرأة متزوجة.

- لا تتكلم كمن خرج لتوّه من فُلك نوح يا ليوناردو، فأنت تعلم أن امرأة شابة وجميلة ومتزوجة من رجل ناضج أكبر منها سنّاً هي فرصة لا تعوَّض بالنسبة إلى شابّ مثل لورنس. لا بدّ أن لسلوكه سبباً آخر لأنني لا أفتقر إلى الجمال، أليس كذلك؟

- هل تودّين أن يغازلك؟

فأجابت بعد تردد أطول ممّا ينبغي: لا.

- ثم إنه مولَع بليتيسيا بروثيرو، أليس كذلك؟

- الآنسة ماربل على خطأ.

- الآنسة ماربل لا تخطئ أبداً، فهي من طراز العوانس اللائي لا يخطئن.

وصمتَت لحظة ثم استطردَت قائلة وهي تنظر إليّ من ركن عينها: أنت تصدّقني طبعاً يا ليونارد حين أقول لك إنه ليس بيني وبين لورنس شيء؟

- طبعاً أصدّقك أيتها العزيزة.

فأقبلَت عليّ وقبّلتني وقالت: يسرّني أنك لا تسيء الظنّ بي ببساطة. يجب أن تصدّقني وتثق بي دائماً.

- هذا ما سأفعله، ولكنني أرجو أن تكوني على حذر فيما

تقولين، وأن تذكري دائماً أن أولئك النسوة يفتقرن إلى روح الدعابة ولا يعرفن المزاح.

- الإثارة هي ما يفتقرن إليه في حياتهن، لذلك يبحثن عنها في حياة الآخرين.

قالت ذلك وغادرت الغرفة، فنظرتُ إلى ساعتي ثم غادرت الغرفة؛ فقد كان عليّ القيام ببعض الزيارات.

* * *

كالعادة لم يشهد قدّاس المساء كثيرون، وعندما هممتُ بمغادرة الكنيسة وقع بصري على سيدة تنظر باهتمام إلى زجاج النوافذ، وكان لبعض هذا الزجاج قيمة أثرية عظيمة، وسمعَت السيدة وقع أقدامي فنظرَت حولها، ووجدتُ نفسي وجهاً لوجه أمام السيدة لترانغ، فراح كل منّا ينظر إلى الآخر في شيء من التردّد، وأخيراً قلتُ لها: أرجو أن تكون كنيستنا الصغيرة قد أعجبتك يا سيدتي؟

- أنا شديدة الإعجاب بمبناها.

كان صوتها هادئاً خافتاً ولكنه واضح النبرات، ثم استطردت قائلة: يؤسفني أنني لم أكن بالبيت أمس حين جاءت زوجتك لزيارتي.

ثم تحدّثنا بضع دقائق عن الكنيسة، وكان واضحاً أنها امرأة على جانب كبير من الثقافة وأن لها دراية بالفنون الدينية والكنسيّة. وبعد قليل غادرنا الكنيسة معاً وسرنا في نفس الطريق؛ فقد كان يمرّ ببيتها ويوصل إلى بيتي، وعندما انتهينا إلى بابها قالت لي بلطف:

تفضّل بالدخول، فأنا أريد أن أعرف رأيك فيما استحدثتُه في البيت من تعديلات.

كان البيت فيما مضى ملكاً لضابط بريطاني عمل في الهند، وقد شعرتُ بالارتياح حين لاحظتُ أن الموائد النحاسية وتماثيل بوذا قد اختفت من الأركان وحلّت مكانها قطع من الأثاث البسيط تدلّ على سلامة الذوق، فقد كان كل شيء حولي يتّسم بالتناسق وينمّ عن الاستقرار، ومع ذلك لم أنجُ من التساؤل عن الأسباب التي حملت امرأة كالسيدة لترانغ على القدوم إلى سانت ماري ميد والإقامة بها، فكلّ الدلائل تشير إلى أنها سيدة مجتمع، فلماذا جاءت لتدفن نفسها في تلك القرية الصغيرة؟

وأُتيحَت لي أول فرصة للنظر إليها عن كثب في قاعة الاستقبال الفسيحة المضيئة. كانت امرأة طويلة القامة شقراء، ولها أعجب عينين وقع عليهما بصري! عينان شبه ذهبيتين، وكانت أنيقة الثياب في غير تبرّج، تتكلم وتتحرك كامرأة من أرقى طبقات المجتمع ويحيط بها جو من الغموض. لقد أصابت غريزلدا حين وصفَته بأنه جوّ مريب.

ودار الحديث بيننا حول أمور عادية، ولكنني كنتُ أشعر طوال الوقت بأن السيدة لترانغ تودّ الحديث في مسائل أخرى، فقد اتفق مرة أو مرتين أن فاجأتها وهي تنظر إليّ خلسة، وخُيّل إليّ أنها تتردد ولا تستطيع أن تتخذ قراراً، على الرغم أنه كان من الواضح أنها تتجنّب الحديث في المسائل الشخصية، فهي لم تُشِر من قريب أو بعيد إلى زوج أو أصدقاء أو أقارب، ومع ذلك فقد كانت في عينيها نظرة توسّل تقول: هل أستطيع أن أثق فيك؟ هل أستطيع أن أفضي إليك بما لديّ؟ لماذا لا تشجعني؟

لكن تلك النظرة ما لبثَت أن اختفت، وخُيّل إليّ في لحظة ما أنها تريدني أن أذهب، فنهضتُ واقفاً واستأذنتُ في الانصراف، وقبل أن أغادر الغرفة نظرتُ ورائي فوجدت السيدة لترانغ ترمقني بنظرة قلقة غامضة فقلتُ لها: هل من خدمة أؤديها لكِ؟

فأجابت على الفور: شكراً لك.

وساد بيننا صمت طويل حتى قالت أخيراً: توجد أشياء كثيرة كنتُ أودّ أن أعرفها، ولكن لا، لا أحد يستطيع معاونتي. شكراً لك على كل حال.

قالت هذه العبارة الأخيرة بلهجة حاسمة، فلم أجد بدّاً من الانصراف وأنا جدّ حائر مذهول، ذلك أننا لم نألف الغموض والأسرار في سانت ماري ميد، والواقع أنني ما كدت أغادر منزل السيدة لترانغ حتى وجدت نفسي وجهاً لوجه مع السيدة هارتنل، فصاحت وهي تصطنع المرح: لقد رأيتك تسير معها فانتظرتُ خروجك بفارغ الصبر. والآن حدثني بكل ما تعلمه.

- عن أيّ شيء؟

- عن تلك المرأة الغامضة. هل هي أرملة؟ هل لها زوج في مكان ما؟

- ليس في استطاعتي أن أُشبع فضولكِ حقاً، فهي لم تحدّثني بشيء في هذا الصدد.

- حقاً؟ فيمَ كان حديثكما الطويل إذن؟

- تحدثنا عن الفنّ والموسيقى والأدب.

كانت تلك هي الحقيقة، ولكن السيدة هارتنل لم تصدّق ولم

تقتنع، وصمتَت لحظة لتفكّر في سؤال جديد تلقيه عليّ، وانتهزتُ تلك الفرصة فودّعتها، ثم هرولت مبتعداً.

عدتُ إلى البيت من أقصر طريق، وأعني به الطريق الذي يمرّ أمام حديقة الآنسة ماربل، ولكنني كنت واثقاً من أن نبأ زيارتي للسيدة لترانغ لم يكن قد وصل بعد إلى أذن جارتي العزيزة. وخطر لي وأنا أغلق باب السور أن ألقي نظرة على الحظيرة التي تقع في ركن الحديقة والتي جعل منها السيد لورنس ريدنغ مرسماً لكي أرى مدى ما تمّ في صورة غريزلدا، وهنا لا بدّ أن أروي حادثاً هامّاً له صلة وثيقة بوقائع هذه القصة، ولكني لم أُشِر إليه فيما بعد إلاّ عند الضرورة القصوى.

كنتُ أظن أنه لا أحد بالمرسم لأنني لم أسمع صوتاً يدلّ على وجود أحد، كذلك لم يُحدِث وقع أقدامي على العشب صوتاً، وما إن فتحتُ باب المرسم حتى تسمّرَت قدماي على عتبته؛ فقد وقع بصري في الداخل على رجل وامرأة يتعانقان، وكان الرجل هو لورنس ريدنغ وكانت المرأة هي السيدة بروثيرو، فتراجعتُ على الفور وهرولتُ إلى مكتبي، وهناك جلستُ على أحد المقاعد وأشعلت غليوني وأخذت أفكّر. لقد كان ما رأيتُه في المرسم مفاجأة لي، وقد زاد من وقعها أنني كنتُ واثقاً أن بين ليتيسيا ولورنس صلة حب بعد الحديث الذي دار بيني وبينها بعد ظهر اليوم، ويبدو أنها كانت تتوهم ذلك أيضاً دون أن يخطر لها ببال أن المرأة التي يحبها لورنس هي زوجة أبيها.

ولم يسعني إلا الاعتراف بذكاء الآنسة ماربل، فهي الوحيدة التي لم تخطئ، وهي الوحيدة التي أدركَت الحقيقة في الوقت الذي انخدعتُ أنا فيه تماماً بالنظرة التي رنَت بها إلى زوجتي وهي

تتحدث عن علاقة لورنس بإحدى السيدات.

لم أكن أتصور قط أن تلك السيدة يمكن أن تكون السيدة بروثيرو، تلك المرأة الهادئة المنطوية على نفسها! وكنت لا أزال أفكر في ذلك حين سمعت طرقاً على باب الشرفة المطلة على الحديقة، فاتجهتُ إلى ذلك الباب وفتحته لأجد أمامي السيدة بروثيرو، فدخلَت قبل أن أدعوها للدخول وتهالكت على أحد المقاعد وهي تلهث، وخُيل إليّ على الفور أنني لم أرَها قبل ذلك قط، فهي ليست المرأة الهادئة المتقوقعة التي أعرفها، فقد كانت أمامي تضطرم حيوية وتكاد تختنق يأساً، ولأول مرة لم يسعني إلا الاعتراف بأنها جميلة جداً!

قالت: خطر لي أنه من الأفضل أن أقابلك. لقد رأيتَ منذ قليل...

ولم تتمّ عبارتها، فأومأتُ برأسي علامة على الإيجاب فقالت بصوت هادئ: إنه يحبني وأنا أحبه.

ولم تستطِع أن تحجب الابتسامة رغم يأسها واضطرابها، وكانت ابتسامة امرأة تتكلم عن شيء جميل رائع، ثم استطردَت حين وجدتني ألوذ بالصمت: هذا في نظرك خطيئة، أليس كذلك؟

- وهل يمكن أن يكون غير ذلك يا سيدة بروثيرو؟

- بالطبع لا.

فاستطردتُ قائلاً بصوت حرصتُ على أن يكون هادئاً ولطيفاً: أنت متزوجة.

- أعلم ذلك، أعلم ذلك، أتظنّ أنني لم أُقل ذلك لنفسي المرّة تلو المرّة؟ أنا لست امرأة مبتذَلة، لا، لا، وعلاقتنا لم تتطور إلى الحدّ الذي تتصوره.

- يسعدني أن أعلم ذلك.

فسألَت بجزع: هل ستشي بي إلى زوجي؟

فأجبتها بجفاء: أنا أعجب من أن أكثر الناس يظنّون أن القس لا يمكنه التصرف كرجل نبيل.

فرمقَتني بنظرة امتنان وقالت: أنا امرأة شقيّة، وقد ضقتُ بشقائي وأصبحتُ لا أدري ماذا يجب أن أفعل. أنت لا تعرف أية حياة أحياها مع زوجي. لقد كنتُ دائماً تعسة معه، وما من امرأة تسعدها الحياة معه، وقد مرّت بي لحظات تمنّيت فيها أن يموت.

ثم نهضَت فجأة وأرسلَت بصرها عبر الباب المؤدّي إلى الحديقة وهتفت: ما هذا؟ خُيّل إليّ أنني سمعتُ وقع أقدام! لعلها أقدام لورنس.

فاتجهتُ إلى الباب الذي كان مفتوحاً وكنتُ أظنه مغلَقاً، فأجلتُ البصر في الحديقة ولكنني لم أرَ أحداً رغم أنني كنت موقناً بأنني سمعت وقع أقدام كذلك، ولما عدتُ وجدتها في مقعدها وقد انحنى رأسها فوق صدرها فكانت مثالاً حيّاً لليأس والقنوط وراحت تردّد: ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟

فجلستُ بجانبها وقلت لها ما يمليه عليّ الواجب، ثم تذكرتُ وأنا أفعل ذلك أنني نفسي قد تمنّيت الموت للكولونيل بروثيرو

في صباح ذلك اليوم، وتوسلتُ إليها أن لا تُقدِم على أمر لا يمكن الرجوع فيه، كأن تهجر زوجها وتترك بيتها، كما رجوتها أن لا تفعل شيئاً من ذلك إلا عند الضرورة القصوى.

ولكن لا أظنّ أنني أقنعتُها، فقد علّمَتني تجاربي الطويلة في الحياة أنه لا جدوى من محاولة ردّ العاشق إلى سواء السبيل، ولكنني استطعت أن أُدخل على نفسها بعض السكينة، فشكرتني ووعدَتني بالعمل بنصيحتي، ثم انصرفَت وتركتني نهباً للقلق، فقد علمتُ أنها امرأة يائسة وعاشقة يسيطر قلبها على عقلها ومن الممكن أن تقدم على أيّ عمل، وعلمتُ أيضاً أنها كانت تحب لورنس بجنون كما تحب أيّة امرأة شابّاً أصغر منها سنّاً، وذلك أمر لا يبشّر بخير.

* * *

الفصل الرابع

كنتُ قد نسيت تماماً أننا دعونا لورنس ريدنغ لتناول العشاء في ذلك المساء، ولذلك دُهشتُ عندما رأيت غريزلدا تقتحم عليّ المكتب لتقول لي إن المائدة ستكون مُعَدّة بعد دقيقتين، ثم استطردت تقول: لقد فكرت فيما قلتَه لي ظهر اليوم، فأشرفتُ على كل شيء بنفسي وأعددت طعاماً شهيّاً.

وبطريقة عابرة أستطيع أن أقول إن الطعام الشهيّ الذي أعدّته زوجتي أيّد ما ذكرَته هي نفسها حين قالت إنها تفسد كل شيء تُعنَى به، فقد كان اختيار ألوان الطعام ينمّ عن المبالغة والتفاخر، بالإضافة إلى أن بعض الطعام قد احترق والبعض الآخر لم يتمّ نضجه. وكنت أخشى أن لا يحضر لورنس على الإطلاق، فقد كان بوسعه أن يختلق عذراً للتخلف بسهولة، ولكنه جاء في الوقت المحدَّد تماماً، ثم انتقلنا على الفور إلى قاعة الطعام.

كان لورنس ريدنغ شابّاً وسيماً ذا شخصية جذّابة له شعر أسود وعينان زرقاوان خاطفتا البريق، وقد اجتمعَت فيه كل صفات الشابّ الكامل، فهو في نحو الثلاثين من عمره رياضيّ ماهر وصيّاد بارع وممثّل هاوٍ ومتحدث لبق، وأظن كذلك أنه فنان عصري أصيل، رغم أنه يفتقر إلى الخبرة في هذا المجال. وكان من

الطبيعي أن يبدو شارد الذهن إلى حدّ ما في ذلك المساء، ولكن سلوكه كان ممتازاً، وأعتقد أن غريزلدا ودنيس لم يلاحظا شيئاً غير عاديّ، ومن المحتمل أنني ما كنت لألحظ شروده لولا أنني أعرف ما أعرف.

كانت غريزلدا ودنيس مرحَين للغاية، فراحا يسخران من الدكتور ستون والآنسة كرام اللذين كان اسماهما على كل لسان في القرية، وأحسستُ وأنا أنصت إليهما بأن عمر غريزلدا يكاد يكون أقرب إلى عمر دنيس منه إلى عمري، وكان الفتى يدعوني بالعم ليونارد في حين كان يدعو غريزلدا باسمها، ممّا جعلني أشعر بشيء من العزلة والوحدة. ولم يلبث لورنس أن اشترك معهما في الحديث، ولم أدهش حين تأبّط ساعدي بعد العشاء وسار إلى غرفة المكتب، وما إن انفردنا حتى تغيرَت سحنته وقال لي بشيء من الحدّة: لقد علمتَ سرّنا يا سيدي، فماذا في نيتك أن تفعل؟

ووجدتُ أنني أستطيع أن أحدّثه بحرّية أكثر ممّا تحدثتُ إلى السيدة بروثيرو، فتقبّل كلامي بصدر رحب وقال بعد أن فرغت من حديثي: بحكم وظيفتك كقس من الطبيعي أن تقول لي كل هذا الكلام، وأظن أنك على حق، ولكن حبّنا ليس حبّاً عاديّاً.

فلفتّ نظره إلى أن جميع الرجال منذ بدء الخلقية يردّدون تلك العبارة، وعندئذ ارتسمَت على شفتيه ابتسامة غريبة وقال: أتريد أن تقول إن كل عاشق يتوهم أن حبه فريد من نوعه؟ ربما كان هذا صحيحاً، ولكن يوجد أمر يجب أن تكون على يقين منه.

وأكّد لي أن العلاقة بينه وبين آن حتى تلك اللحظة لم تتجاوز حدود الحب الطاهر البريء، ثم استطرد قائلاً: آن هي أخلص وأعزّ امرأة في الوجود.

فسألتُه: وماذا سيحدث الآن؟

فأجاب بأنه لا يعلم، ثم قال: لو كانت هذه قصّة ممّا نقرؤه في الكتب لمات الزوج العجوز وأراح الجميع.

فنظرتُ إليه مستنكراً فقال: لا أعني أنني سأطعنه في ظهره بخنجر، ولكنني سأشكر من كلّ قلبي مَن يقوم بهذه المهمّة. أنا واثق من أنه لا يوجد في الدنيا كلها شخص واحد يذكر ذلك الرجل بخير، وأنا أعجب كيف لم تفتك به زوجته الأولى! لقد قابلتُها منذ بضعة أعوام وخُيّل إليّ أنها امرأة قوية الإرادة وأنه كان بوسعها أن تفعل ذلك، فهو شيطان رجيم يتحرش بكل إنسان ويثير المتاعب في كل مكان، ولا يمكنك أن تتصور كم قاست منه آن. لو أن لديّ بعض المال لاختطفتها وذهبتُ بها بعيداً دون أن أتردد.

قال ذلك وصمت، فرجوته أن يرحل عن سانت ماري ميد لأنه لم يعُد من بقائه فيها جدوى ولأن وجوده بالقرية لن يزيد آن إلا شقاء، فالناس لا يكفّون عن الكلام وسيصل كلامهم إلى مسامع الكولونيل إن عاجلاً أو آجلاً.

- ولكنْ لا أحد في القرية يعرف تلك العلاقة سواك.

- أنت لا تعرف شيئاً عن طباع سكان القرى الصغيرة أيها الشابّ، ففي أعماق كل منهم شرطي سري يرى ويسمع ويسأل ويتكلم، ويجب أن تصدّقني حين أقول لك إن كل شخص هنا يعرف أدقّ شؤونك وأسرارك. إنكلترا كلها لا يوجد فيها شرطي سرّي واحد يضارع في براعته هؤلاء العوانس اللائي ليس لديهنّ ما يشغلهنّ.

- إذا صحّ ذلك فلا خوف على سرّنا لأن الجميع يعتقدون

أن ليتيسيا هي محور اهتمامي.

- ألم يخطر ببالك أنه يمكن لليتيسيا نفسها أن تعتقد ذلك؟

ويبدو أن السؤال كان مفاجأة له فقال: ليتيسيا فتاة غريبة الأطوار تبدو في ظاهرها كأنها تعيش في الوهم والخيال، ولكنني أعتقد أنها أعمق كثيراً ممّا تبدو، أضف إلى ذلك أنها شديدة الحقد، فهي تحقد على آن، ولا أدري لماذا. إنها تمقتها أشدّ المقت رغم أن سلوك آن حيالها كان كسلوك الملائكة.

وكان ينبغي أن لا أصدّقه لأن كل امرأة تبدو في نظر عاشقها كالملائكة، ولكنني كنتُ أعلم أن آن تعطف على ابنة زوجها وتعاملها برفق، ولذلك أدهشتني روح الكراهية التي انطوى عليها حديث ليتيسيا عن زوجة أبيها بعد ظهر ذلك اليوم.

وانتهى الحديث بيني وبين لورنس عند هذا الحد؛ فقد أقبلت غريزلدا ودنيس في تلك اللحظة، فتهالكت الأولى على أحد المقاعد وهتفت: يا إلهي! كم أنا متشوقة إلى حادث مثير يبدّد هذا الملل! كأن أشهد جريمة قتل، أو حتى جريمة سرقة.

فقال لورنس: لا أظن أنه يوجد بهذه القرية ما يستحق السرقة، باستثناء طاقم أسنان السيدة هارتنل.

فضحكت غريزلدا وقالت: وهل نسيتَ القصر القديم، قصر الكولونيل بروثيرو؟ إنه حافل بصحاف فضية وكؤوس ذهبية ولوحات فنّية وتحف تقدَّر قيمتها بآلاف الجنيهات.

فقال دنيس: لن يتردد الكولونيل العجوز في استخدام مسدسه الضخم في قتل من تحدّثه نفسه بالسطو على تحفه، بل إنه سوف

يجد لذّة كبرى في ذلك.

فقالت غريزلدا: إذن يجب أن تكون الخطوة الأولى هي شدّ وثاق الكولونيل. مَن منكم لديه مسدس؟

فأجاب لورنس: لديّ مسدس من طراز موزر.

- حقاً؟ كيف حصلت على سلاح كهذا؟

فأجاب لورنس بإيجاز: إنه من ذكريات الحرب.

فقال دنيس: لقد عرض الكولونيل مقتنياته وتحفه على الدكتور ستون فأبدى هذا الأخير اهتماماً بالغاً بها.

فقالت غريزلدا: ألم يتردد أنهما تشاحنا بسبب الحفريات؟

فقال دنيس: أعتقد أنهما تصالحا.

فقال لورنس: هذا هو الدكتور ستون، إنه يثير دهشتي، وقد خُيّل إليّ في بعض الأحيان أنه لا يعرف شيئاً عن الآثار والحفريات.

فقال دنيس ضاحكاً: ولكنه يعرف الكثير عن الحب!

- أظن أنني يجب أن أذهب الآن. شكراً جزيلاً على هذه الأمسية الجميلة يا سيدة كليمنت.

ورافقته غريزلدا ودنيس إلى الخارج، وبعد بضع دقائق عادت زوجتي وهي تقول: لقد جاءت السيدة ويذرباي الآن وذهبَت، ولم تمكث إلا ريثما قالت إن السيدة لترانغ غادرت بيتها في الساعة الثامنة والربع ولم تعُد إلى الآن، ولا يعلم أحد أين ذهبَت.

- وماذا يهمّ الناس من ذلك؟

- لقد قالت إنها واثقة من أن السيدة لترانغ لم تذهب إلى الطبيب هايدوك لأنها اتصلت هاتفيّاً بالسيدة هارتنل التي تقطن بجوار الطبيب وعلمت منها أنها لم ترَ السيدة لترانغ.

- الحقّ أنني لا أدري كيف يجد أولئك الناس وقتاً لتناول الطعام! لا بدّ أنهم يتناولون وجباتهم وقوفاً أمام النوافذ حتى لا تفوتهم صغيرة أو كبيرة.

فقالت غريزلدا ووجهها يطفح بِشراً: ليس ذلك كل ما هنالك، فقد اكتشفَت أيضاً أن الدكتور ستون والآنسة كرام يقيمان في غرفتين متلاصقتين بالفندق، ولكن...

وهزّت إصبعها لتؤكد أهمية العبارة التالية قائلة: ولكن لا يوجد باب يوصل بين الغرفتين.

- يا للأسف!

فانفجرت غريزلدا ودنيس ضاحكَين.

* * *

بدأ اليوم التالي بداية سيئة؛ فقد اختلفَت اثنتان من السيدات على أيتهما تقوم بإعادة طلاء جدران الكنيسة على نفقتها واضطُررتُ إلى التدخل لإنهاء الخلاف. كذلك كان عليّ أن أعمل على تهدئة عازف الأرغن الذي كان غاضباً لسبب ما، وقد قابلتُ الكولونيل بروثيرو حينما كنت في طريقي إلى البيت، وكان مرحاً خلافاً للعادة، فبصفته قاضي الناحية أصدر لتوّه حكماً بغرامة فادحة على ثلاثة أشخاص اتُّهموا بسرقة الصيد.

قال لي بصوت مرتفع كما هي عادة المصابين بضعف السمع: لا بدّ من الشدة في معاملة هؤلاء الأشقياء، وقد قيل لي إن أحدهم (وهو ذلك الوغد المدعو آرثر) قد هدد بالانتقام منّي، ولكنني سأعلمه معنى الانتقام إذا مثُل أمامي مرة أخرى. وقد حاول أن يثير شفقتي عليه من أجل زوجته وأولاده، ولكن القانون هو القانون ويجب أن يأخذ مجراه. أنت معي في هذا الرأي، أليس كذلك؟

- هل تنسى أن وظيفتي كقس تحتم عليّ أن أضع فضيلة أخرى قبل سائر الفضائل، ألا وهي الرحمة؟

- هذا حسن، ولكني رجل عادل، فهل يوجد من يقول عنّي غير ذلك؟

ولكنني لزمت الصمت فقال بخشونة: لماذا لا تتكلم؟

فأجبته بعد تردد قصير: الحق يا كولونيل بروثيرو أنني لا أودّ حين أقف بين يدي الله أن تكون شفاعتي الأخيرة هي أنني كنتُ عادلاً، فمعنى ذلك أنني يجب أن أحاسَب بالعدل دون الرحمة.

- أنا أؤدي واجبي فحسب. ولكن دعنا من ذلك الآن، سوف آتي لمقابلتك هذا المساء كما اتفقنا، وليكن ذلك في الساعة السادسة والربع بدلاً من السادسة لأن لديّ أعمالاً في القرية يجب أن أنجزها.

- اتفقنا.

ثم مضى في طريقه وهو يلوّح بعصاه، وما إن تحوّلتُ لأواصل السير حتى وجدتُني وجهاً لوجه أمام السيد هاوس شمّاس الكنيسة، وكان في نيّتي أن أؤنّبه لأنه ترك بعض الأعمال

ولم ينجزها، ولكنني رأيته شاحب الوجه بادي التعب فنصحته أن يأوي إلى فراشه طلباً للراحة.

وعندما عدتُ إلى البيت تناولتُ طعام الغداء بسرعة ثم ذهبتُ للقيام ببعض الزيارات، وقد انتهزَت غريزلدا هذه الفرصة للسفر إلى لندن للتسوق. ثم عدتُ إلى البيت في نحو الساعة الرابعة إلا الربع لإعداد موعظة الأحد التالي، ولكنني ما كدت أدخل البيت حتى قالت ماري إن لورنس ريدنغ ينتظرني في مكتبي.

وجدتُه يذرع أرض الغرفة جيئة وذهاباً وهو شاحب الوجه بادي الاضطراب والقلق، فقال حين رآني: لقد فكرتُ فيما قلتَه لي بالأمس، فكرت طويلاً ولم يغمض لي جفن، وأظن أنك على حق. سأقطع صلتي بآن وأرحل.

- هذا خير ما تفعل يا بنيّ.

- أنت على حقّ فيما يتصل بآن بصفة خاصة، وهو أن بقائي هنا لن يزيدها إلاّ شقاء، ولذلك عزمتُ على الرحيل.

- الواقع أن هذا هو الحلّ الوحيد الممكن. لا شك أنه مؤلم بالنسبة لكليكما، ولكنه أفضل الحلول.

فصمت قليلاً ثم قال: أنا أعهد إليك بآن، فهي بحاجة إلى صديق.

- كن مطمئنّاً، سوف أبذل لها كل ما بوسعي.

- شكراً لك يا سيدي، أنت رجل طيب. سأذهب الليلة لوداعها ثم أحزم حقائبي وأرحل في الصباح، وشكراً لك مرة أخرى على أنك منحتني حظيرتكم، ويؤسفني أنني لم أتمكن من

إتمام صورة زوجتك.

- لا عليك من ذلك يا ولدي العزيز. أستودعك الله.

وحاولتُ بعد رحيله أن أشرع في كتابة موعظتي، ولكن دون جدوى؛ فقد ظلت أفكاري طوال الوقت تحوم حول لورنس ريدنغ وآن بروثيرو، وفي نحو الساعة الخامسة والنصف تلقّيت محادثة هاتفية تفيد بأن السيد أبوت (وهو صاحب إحدى المزارع) يُحتضر، وأنني يجب أن أذهب إليه على وجه السرعة لأكون إلى جواره في ساعته الأخيرة.

وعلى الفور اتصلتُ هاتفياً بقصر الكولونيل بروثيرو لأن مزرعة السيد أبوت تقع على بُعد ميلين، ولا يمكن أن أعود منها في الساعة السادسة والربع، وهو الموعد الذي حدّده بروثيرو لزيارتي، فقال لي مَن بالقصر إن الكولونيل غير موجود، فغادرتُ البيت بعد أن قلتُ لماري إنني سأبذل قصارى جهدي لكي أعود في الساعة السادسة والنصف.

* * *

الفصل الخامس

كانت الساعة أقرب إلى السابعة منها إلى السادسة والنصف عندما عدتُ إلى البيت قادماً من باب الحديقة، وحين فُتح هذا الباب وخرج منه لورنس ريدنغ ورآني جمد في مكانه، وأذهلني منظره؛ فقد كان أشبه برجل فقد عقله! كان شاحب الوجه شارد البصر وكل جسده يرتجف، فخطر لي لأول وهلة أنه ربما كان ثملاً فقلت له: هل عدتَ لمقابلتي؟ يؤسفني أنني لم أكن موجوداً. تفضّل بالدخول. في الحقيقة أنا على موعد مع بروثيرو ولكن اجتماعنا لن يستغرق وقتاً طويلاً.

فقال: بروثيرو؟

ثم انفجر ضاحكاً واستطرد قائلاً: بروثيرو؟ حسناً، ستراه. يا إلهي!

فمددتُ إليه يدي لاصطحابه إلى الداخل، ولكنه تراجع إلى الوراء وصاح: لا، دعني أذهب؛ فأنا بحاجة إلى أن أفكر.

ثم انطلق يعدو، وما لبث أن اختفى في الطريق الموصّل إلى القرية، فبقيتُ في مكاني لحظة وقد زاد يقيني بأنه ثمل، ثم اجتزتُ الحديقة إلى البيت، وعلى الرغم من أن الباب كان مفتوحاً فقد

ضغطت الجرس بطريقة تلقائية، فأقبلَت ماري مهرولة وهتفت وهي تجفّف يديها في مئزرها: أهذا أنت يا سيدي؟

فسألتُها: هل جاء الكولونيل بروثيرو؟

- إنه ينتظرك في غرفة المكتب منذ الساعة السادسة والربع.

- هل رأيت السيد ريدنغ؟

- نعم، لقد سأل عنك منذ بضع دقائق فقلت له إنك ستعود بين لحظة وأخرى وإن الكولونيل ينتظر في غرفة المكتب، فقال إنه سينتظرك هناك أيضاً. لا بدّ أنهما معاً الآن.

- لا، فقد قابلتُه عند باب الحديقة منذ لحظة.

- أنا لم أشعر بانصرافه. لا بدّ أنه لم يمكث أكثر من دقيقتين.

ثم أردفت قائلة: لم تعُد سيدتي من لندن بعد.

فأطرقتُ برأسي في حين مضت ماري إلى المطبخ، ثم سرتُ في الممرّ الموصّل إلى غرفة المكتب وفتحت الباب. كان الممرّ مظلماً فبهر بصري ضوء الشمس الساطع الذي يملأ الغرفة فظللت لحظة لا أرى شيئاً، ثم تقدمتُ خطوة أو خطوتين وتوقفت فجأة، ومرّت بي لحظة خاطفة عجزتُ خلالها عن فهم ما أرى. لقد كان الكولونيل جالساً على أحد المقاعد وقد سقط رأسه فوق المكتب والدم يسيل من رأسه ويتجمّع على المكتب ويتساقط على الأرض نقطة نقطة بصوت مكتوم مخيف.

غالبتُ ذعري وذهولي واقتربت من الجثة ولمستها فوجدتها

باردة تماماً، ثم تناولتُ إحدى اليدين فرفعتها ثم تركتها، فسقطت بلا حياة. لقد مات الرجل برصاصة في الرأس، فأسرعت إلى الباب وناديت ماري فأقبلَت مهرولة، فأمرتها أن تسرع إلى الطبيب هايدوك الذي يقع بيته في ركن الشارع وأن تطلب منه الحضور على وجه السرعة لأن حادثاً قد وقع، ثم عدتُ إلى قاعة المكتب فأغلقت بابها وانتظرت قدوم الطبيب، ومن حسن الحظّ أن ماري وجدَته في البيت فجاء مسرعاً.

كان رجلاً قصير القامة بديناً، ولكنه كريم طيب القلب، فأشرت إلى الجثّة دون أن أنطق بكلمة، وككل طبيب يحترم نفسه ومهنته لم يبدُ على هايدوك أي أثر للدهشة والانفعال، فانحنى على الجثّة يفحصها إلى أن فرغ من ذلك بسرعة، ثم اعتدل واقفاً فسألتُه: ماذا وجدت؟

- إنه ميت، ميت منذ أقلّ من نصف الساعة.

- هل هذا انتحار؟

- مستحيل، انظر إلى مكان الجرح. وإذا افترضنا أنه قتل نفسه، فأين السلاح؟

والواقع أنه لم يكن بالغرفة أيّ أثر لأيّ سلاح، ثم قال هايدوك: يجب أن لا نمسّ شيئاً، وسأتصل بالشرطة الآن.

قال ذلك وتناول السماعة فاتصل بمركز الشرطة ووصف الحادث بإيجاز شديد، ثم وضع السماعة وتحوّل إليّ وقال: يا لها من جريمة قذرة! كيف اكتشفتَ الحادث؟

فرويتُ له ثم سألته: أواثق أنتَ من أن في الأمر جريمة؟

- ماذا يمكن أن يكون غير ذلك؟ هذا حادث عجيب حقاً! أنا أعلم أن هذا العجوز التعس لم يكن محبوباً، ولكن الإنسان لا يُقتَل لمجرد أنه غير محبوب.

- هنالك أمر أثار حيرتي، لقد طُلبتُ بعد ظهر اليوم لزيارة مريض قيل لي أنه يُحتضَر، فلمّا ذهبت إليه دهشَت أسرته وقالوا إنه بخير وإن صحّته أخذت في التحسن منذ بضعة أيام، ونفت زوجته نفياً باتّاً أنها اتصلَت بي هاتفياً وطلبَت قدومي.

فقطّب هايدوك حاجبَيه وقال: فهمت. لقد أرادوا إبعادك عن البيت، ولكن أين زوجتُك؟

- ذهبت إلى لندن.

- والخادمة؟

- في مطبخها في الجانب الآخر من البيت.

- إذن فمن المحتمل أنها لم تسمع شيئاً، ولكن هل كان يوجد من يعلم أن بروثيرو سيحضر إلى هنا الليلة؟

- لقد ضرب لي هذا الموعد صباح اليوم وسط القرية، وكان يتكلم بصوت مرتفع كما هي عادته.

- معنى ذلك أن كل القرية كانت تعلم. ولكن حدّثني، هل تعرف شخصاً بعينه يحقد عليه إلى حدّ يدفعه إلى قتله؟

وهنا تذكرتُ اضطراب لورنس وامتقاع وجهه، وفي تلك اللحظة سُمعَت جلبة في الدهليز فقال هايدوك وهو ينهض واقفاً: جاء رجال الشرطة.

ولكن القادم كان شرطياً واحداً هو الرقيب هيرست الذي قال عند دخوله: طاب مساؤكما، سيحضر المفتّش بعد لحظات، وسأنفّذ تعليماته إلى أن يحضر. لقد قيل لي إن الكولونيل وُجد ميّتاً هنا في بيت القسّ.

ثم نظر إليّ بارتياب، ولكنني صمدت أمام نظرته صمود الرجل البريء المطمئنّ، واقترب الشرطيّ من المكتب وهو يقول: لا يجب أن يُمَسّ شيء قبل قدوم المفتّش.

ثم أخرج من جيبه دفتراً وقلماً ونظر إليّ نظرة المحقق، فرويت له مرة أخرى كيف وجدت جثّة بروثيرو. وسجّل الشرطي ما رويتُه، ثم تحوّل إلى الطبيب فسأله قائلاً: ما رأيك في طريقة حدوث الوفاة أيها الطبيب هايدوك؟

- حدثت من رصاصة في الرأس.

- والسلاح؟

- لا أستطيع أن أجزم في أمره برأي قبل أن أفحص الرصاصة، ولكنني أعتقد أن الرصاصة أُطلقت من مسدس صغير العيار كطراز موزر.

وهنا تذكرتُ حديث لورنس حين قال إنه يملك مسدساً، ولكنني آثرت الصمت، فما جال بخاطري كان مجرَّد شكوك يحسن أن أحتفظ بها لنفسي.

ثم قال الشرطي: متى حدثت الوفاة فيما تعتقد أيها الطبيب؟

فأجاب هايدوك بعد تردّد قصير: منذ نصف ساعة لا أكثر.

فتحوّل الشرطي إليّ وسأل: هل سمعَت خادمتك شيئاً؟

- لا، ولكن يحسن أن تسألها.

وفي تلك اللحظة جاء المفتّش لاندرومي قادماً بالسيارة من بنهام، وكان رجلاً أسمر جمّ النشاط تتحرك عيناه السوداوان في محجرَيهما بسرعة عجيبة، ولكنه فظّ مغرور، وقد ردّ تحيتنا بإيماءة من رأسه، ثم تناول الدفتر من يد هيرست فقرأه بعناية، وتبادل مع هيرست بعض العبارات بصوت خافت، ثم اقترب من الجثة بخطى سريعة وقال: لا بدّ أنكم عبثتم بكل شيء هنا.

فقال هايدوك: أنا لم ألمس شيئاً.

- وأنا كذلك.

فنظر المفتّش طويلاً إلى الأشياء المبعثَرة فوق المكتب ثم نظر إلى بُحيرة الدم كما لو كان يريد أن يستجوبها، وأخيراً قال: هو ذا ما نبحث عنه. لقد ارتطم الرأس عند سقوطه بالساعة التي كانت فوق المكتب فسقطَت وتهشمَت، وسنعرف الآن الوقت الذي ارتُكبت فيه الجريمة. ها أنا ذا أرى أن الساعة قد توقفت عند الساعة السادسة و٢٢ دقيقة. ماذا قلتَ عن الوقت الذي حدثت فيه الوفاة أيها الطبيب؟

- قلت إنها حدثت قبل قدومي بنحو نصف ساعة.

فنظر المفتّش إلى ساعته وقال: الساعة الآن السابعة وخمس دقائق، وقد أنبؤوني بالحادث منذ عشر دقائق، أي في الساعة السادسة وخمس وخمسين دقيقة، وقد اكتُشفت الجريمة نحو الساعة السادسة وخمس وأربعين دقيقة، وحضرتَ أنت على

الفور وفحصت الجثّة فيما لا يقلّ عن عشر دقائق، ومعنى ذلك أن هذه الساعة تحدّد وقت ارتكاب الجريمة بالضبط.

فقال هايدوك: لقد حددتُ وقت الوفاة على وجه التقريب.

وهنا حاولت أن أتكلم فقلت: هذه الساعة...

ولكن المفتّش قاطعني بقوله: معذرة يا سيدي، أنا لم أطلب منك الكلام. الوقت يمرّ بسرعة، وما أريده هو الصمت المطلَق، فاصمت.

وفحص المفتّش المكتب ثم قال: لماذا جلس أمام المكتب على هذا النحو؟ هل كان يريد أن يكتب شيئاً؟ آه، ما هذا؟

ثم أمسك بورقة لوّح بها وفي عينيه نظرة فوز. كانت الورقة تحمل اسم الكنيسة وقد كتب في أعلاها: "الساعة السادسة وعشرون دقيقة" ثم هذه الكلمات: "عزيزي كليمنت، يؤسفني أنني لم أستطع الانتظار أكثر من ذلك إذ يجب...".

وانتهت الرسالة بجرّة قلم مضطربة لا تعني شيئاً فقال المفتّش: الأمر واضح، لقد جلس ليكتب هذه الرسالة فدخل القاتل من باب الشرفة وتسلّل خلفه وهو يكتب وأطلق عليه الرصاص.

فشرعتُ أقول: أريد أن أوضّح أن...

فقاطعني قائلاً: أنا لم أسألك رأيك. سنبحث الآن عمّا إذا كانت توجد آثار أقدام.

فقلت بإصرار: أرى من واجبي أن أقول لك...

فقاطعني لاندرومي مرة أخرى قائلاً بحزم: سندخل

في التفصيلات فيما بعد، أما الآن فأنا أرجوكما أن تغادرا هذه الغرفة.

فأطعنا وكأننا تلميذان صغيران، وكان يخيَّل إليّ أن ساعات طويلة قد انقضت منذ اكتشاف الحادث، والحقيقة أن الساعة لم تكن قد تجاوزت السابعة والربع حين قال هايدوك: إذا احتاج إليّ ذلك الحمار المغرور فقل له أن يتصل بي في عيادتي. إلى اللقاء.

وما إن انصرف هايدوك حتى جاءت ماري لتنبّئني بأن غريزلدا عادت منذ خمس دقائق، فلحقتُ بزوجتي في قاعة الاستقبال حيث وجدتُها في حالة ذعر وانفعال فرويت لها ما حدث، وقد أصغَت إليّ باهتمام شديد، ثم ختمتُ روايتي بأن قلتُ لها: وقد كتب بروثيرو رسالته في الساعة السادسة والثلث، في حين أشار عقربا الساعة المحطَّمة إلى الساعة السادسة واثنتين وعشرين دقيقة.

فقالت غريزلدا: ألم تقُل للمفتّش إننا تعوّدنا تقديم الساعة خمس عشرة دقيقة؟

- حاولت مراراً أن أقول له ذلك فأبى أن ينصت إليّ.

فقطّبَت حاجبَيها وصمتت لحظة ثم قالت: ولكن ذلك يغيّر الوضع تماماً؛ فإذا كان عقربا الساعة قد توقّفا عند السادسة واثنتين وعشرين دقيقة فإن الساعة في الواقع كانت السادسة وسبع دقائق، وفي ذلك الوقت لم يكن الكولونيل بروثيرو قد وصل إلى بيتنا بعدُ.

* * *

الفصل السادس

أثار موضوع عقربَي الساعة المهشَّمة اهتمامنا، وكان من رأي زوجتي أن أقوم بمحاولة جديدة للفت نظر المفتّش إلى هذه الحقيقة، ولكنني رفضت، فقد أبدى لاندرومي خشونة لا مبرّر لها وأبى أن ينصت إليّ، ولذلك قررت أن لا أُفضي إليه برأيي إلا إذا سألني، وكنتُ أتوقع أن يجتمع بي قبل أن يغادر البيت، ولكنني دُهشت حين أنبأتني ماري بأنه انصرف بعد أن أشرف على نقل جثة الكولونيل إلى عيادة الطبيب هايدوك لتشريحها، وأنه أوصد باب قاعة المكتب بالمفتاح وطلب أن لا يدخلها أحد.

وقررَت غريزلدا أن تذهب إلى قصر الكولونيل وقالت: لا بدّ أن تكون آن في حالة يُرثى لها، وربما استطعتُ أن أعاونها وأرفّه عنها.

فوافقتُ عن طيب خاطر، وقد طلبتُ منها أن تتصل بي هاتفياً إذا تطلّب الأمر وجودي مع السيدة بروثيرو، وعقب انصرافها عاد دنيس من مباراة للتنس، وقد انفعل بفكرة وقوع جريمة قتل في بيت قسّ فقال: لطالما تمنيتُ أن أجد نفسي وسط مأساة من هذا النوع، ولكن لماذا أوصد الشرطي باب القاعة في حين يمكننا فتحه بمفتاح آخر؟

وبطبيعة الحال رفضتُ بحث مثل هذا الاقتراح، وبعد أن سمع دنيس منّي كافّة التفصيلات انطلق إلى الحديقة للبحث عن آثار قد تُرشد إلى القاتل. وعادت غريزلدا بعد ساعة تقريباً فقالت إنها قابلت آن حينما كان المفتّش ينعي إليها نبأ مصرع زوجها، وإنها فهمت من أقوال الزوجة التعسة أنها رأت زوجها للمرة الأخيرة في القرية في الساعة السادسة إلا الربع، وأنها ليست لديها أية معلومات يمكن أن تلقي ضوءاً على الجريمة.

ثم استطردَت غريزلدا قائلة: ثم انصرف لاندرومي بعد ذلك على أن يعود في اليوم التالي لإجراء تحقيق مفصَّل، وقد كان سلوكه مهذَّباً ولا غبار عليه.

فسألتُها: وكيف استقبلَت السيدة بروثيرو النبأ؟

- كانت هادئة تماماً، ولكن ألم تكن كذلك دائماً؟

- الواقع أنني لا أستطيع أن أتصور آن بروثيرو في حالة انهيار عصبي.

- لا بدّ أن الصدمة كانت قاسية، ولكنها واجهتها بثبات وشكرتني على أنني ذهبت لزيارتها، ثم قالت بحزن إنني لا أستطيع أن أفعل شيئاً من أجلها.

- وليتيسيا؟

- كانت قد ذهبت لتلعب التنس في مكان ما، ولم تكن قد عادت بعد.

وصمتت قليلاً ثم قالت: الحقيقة يا ليونارد أنه خُيّل إليّ أن آن في حالة غير عادية.

- من أثر الصدمة بلا شك.

- لا، لقد خُيّل إليّ أنها خائفة أكثر منها حزينة.

- خائفة؟

- نعم، لقد كان في عينيها نظرة غريبة، وقد سألَتني مراراً وبإلحاح عمّا إذا كان رجال الشرطة يرتابون في أحد.

- حقاً؟

وفي تلك اللحظة دخل دنيس وهو يلهث فقال إنه عثر على آثار أقدام على العشب وإنه واثق من أن المفتّش لم يفطن إلى تلك الآثار التي سوف تميط اللثام عن القاتل.

وقضيتُ ليلة مضطربة، وعندما استيقظتُ في الصباح وجدتُ دنيس يجوب البيت للبحث عن أثر جديد، ولكن الأنباء المثيرة لم تصلنا عن طريقه وإنما عن طريق ماري، فلم نكَد نجلس حول المائدة لتناول طعام الفطور حتى دخلت ماري مسرعة وهي لامعة العينين مورَّدة الخدّين وهتفت قائلة: هل تتصور ذلك يا سيدي؟ لقد قال لي الخبّاز إنهم ألقوا القبض على السيد ريدنغ.

ولم تصدّق غريزلدا أذنيها وصاحت: ألقوا القبض على لورنس! ولكن ذلك مستحيل! لا بدّ أن في الأمر خطأ.

- لا يا سيدتي، ليس في الأمر خطأ لأن السيد ريدنغ هو الذي سلّم نفسه، فقد ذهب إلى مركز الشرطة ليلة أمس وقدّم مسدسه واعترف بأنه القاتل.

قالت ذلك ونظرت إلينا باهتمام، ولمّا اطمأنّت إلى أنها نجحت في إثارة دهشتنا هزّت رأسها وانصرفت، فقالت غريزلدا

وهي تنظر إليّ بذهول: لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً.

ولمّا لم أجب صاحت: لماذا لا تجيب؟ هل تعتقد أن ذلك صحيح؟

وكان من الصعب أن أجيب عن هذا السؤال فلزمتُ الصمت، في حين كانت آلاف الخواطر تدور في رأسي، فقالت غريزلدا: لا بدّ أنه جُنّ، أو ربما كان هو والكولونيل يفحصان مسدساً فانطلقت منه رصاصة.

- لا أظن ذلك.

- من المؤكَّد أن الحادث وقع قضاء وقدراً، وإلاّ فلأيّ سبب يُقدِم لورنس على قتل الكولونيل؟

وكان في استطاعتي أن أجيب على هذا السؤال إجابة دقيقة، ولكنني أردت أن أجنّب آن الفضيحة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وكان لا يزال لديّ أمل في أن لا يُذكر اسمها في التحقيق فقلت لزوجتي: لا تنسي أنهما تشاجرا.

- أعلم أنهما تشاجرا بسبب صورة ليتيسيا، ولكن ذلك لا يبرر قتل بروثيرو.

- الحقيقة يا غريزلدا أننا ما زلنا نجهل جميع الظروف المحيطة بالحادث.

- أنا واثقة من أن لورنس لم يمسّ شعرة من رأس بروثيرو.

- هل يجب أن أكرّر مرة أخرى أنني عندما قابلتُه عند باب الحديقة كان أشبه بالمجانين؟

- مستحيل، مستحيل!

- ثم لدينا مسألة الساعة المهشَّمة، ولا بدّ أن لورنس قد عبث بها فجعل عقربَيها يشيران إلى السادسة و اثنتين وعشرين دقيقة، لكي يهيّئ دليلاً على براءته.

- أنت مخطئ يا ليونارد لأن لورنس يعلم أننا نقدّم الساعة دائماً ١٥ دقيقة، وكثيراً ما قال: «تقديم الساعة هو ما يتيح للقس المحافظة على مواعيده». لا، لا، يستحيل أن يكون قد ارتكب غلطة وضع عقربَي الساعة عند السادسة واثنتين وعشرين دقيقة. كان أحرى به أن يضعهما بحيث يشيران إلى أيّ وقت آخر، إلى السابعة إلا الربع مثلاً.

- لعله كان يجهل الوقت الذي حضر فيه بروثيرو، ولعله نسي أننا نقدّم ساعتنا خمس عشرة دقيقة.

فهزّت رأسها بارتياب وقالت: لا؛ فالشخص الذي يرتكب جريمة لا تفوته أدقّ التفصيلات.

وقبل أن أتمكّن من الإجابة سمعت صوتاً هادئاً يقول: معذرة عن الإزعاج، ولكن في هذه الظروف المحزنة...

كان صوت جارتنا الآنسة ماربل، فرحّبنا بها، وقالت وهي تجلس على المقعد الذي قدمتُه لها: حادث مخيف، أليس كذلك؟ مسكين بروثيرو، لقد كان رجلاً مقيتاً، ولكن موته على هذا النحو يبعث على الحزن. هل قُتل في قاعة المكتب كما قيل لي؟

فأومأتُ برأسي علامة على الإيجاب فقالت تحدّث زوجتي: أظنّ أن القسّ العزيز لم يكن بالبيت وقت وقوع الحادث؟

فرويتُ لها ما حدث بالتفصيل، فقالت وهي تدير البصر حولها: وأين دنيس؟ أنا لا أراه.

فأجابتها غريزلدا: يقوم بدور الشرطي السرّي، ويبدو أنه عثر على آثار أقدام في الحديقة، ولعله ذهب ليخبر الشرطة.

- هل يعتقد دنيس أنه عرف القاتل؟ نحن جميعاً نعرفه.

- هل هو الفنّان؟

- لستُ أعني ذلك، إنما أعني أن كل إنسان في القرية يشتبه في قاتل مختلف، فأنا أعتقد أنني أعرف القاتل مثلاً، ولكنني لا أملك دليلاً، ولذلك أجد من الحكمة أن ألزم الصمت حتى لا أتورط في قضيّة قذف، وقد قررتُ أن ألتزم بالحذر، وخصوصاً مع المفتّش لاندرومي، فقد اتصل بي وحدّد موعداً لمقابلتي صباح اليوم، ثم عاد فاتصل بي مرة أخرى لإلغاء الموعد.

فقلتُ: لا بدّ أنه لم يرَ ضرورة لسماع أقوالك بعد أن اعتقل المتهَم.

فانحنَت الآنسة ماربل إلى الأمام وهتفَت بحدّة: اعتقل المتهم! لا علم لي بأنه اعتقل أحداً.

وأدهشني أنها لا تعرف آخر التطورات فأجبتُها: لقد اعتقل لورنس ريدنغ.

فبدت عليها دلائل الدهشة في حين قالت زوجتي: أنا لا أصدّق أيضاً، رغم أنه اعترف.

- اعترف! تقولين إنه اعترف؟!

- أنا واثقة من أن الحادث وقع قضاء وقدراً، وإلاّ لما ذهب وسلّم نفسه.

فانحنت الآنسة ماربل إلى الأمام مرة أخرى وسألت: تقولين إنه سلّم نفسه؟

- نعم.

فتنهدَت الآنسة ماربل بارتياح وقالت: آه، ما أشدّ ارتياحي لذلك!

فنظرتُ إليها بدهشة فسألَت: شعر بالندم، أليس كذلك؟ لا شك أنك لا تعتقد بأنه مذنب أيها القسّ العزيز؟

- ولكنه اعترف.

- اعترافه دليل على أنه أبعد ما يكون عن الجريمة.

- الحق أنني لا أفهمك! إذا كان الإنسان لم يرتكب جريمة فلماذا يعترف بارتكابها؟

- يوجد سبب، لا شك في أنه يوجد سبب.

- لو أنكِ رأيت وجهه أمس...

- حدّثني عن ذلك إذن.

فوصفتُ لها كيف كان لقائي مع لورنس عند باب الحديقة في اليوم السابق، وقد أصغَت إليّ الآنسة ماربل باهتمام حتى فرغتُ من حديثي ثم قالت بتواضع: أنا لست لامعة الذكاء، وكثيراً ما يستعصي عليّ فهم الأمور، والواقع أنني لا أستطيع أن أفهم أسلوبك في التفكير، فهل تتصور أن شابّاً يُقدِم على جريمة رهيبة

كجريمة القتل يمكن أن يبدو كالمجانين عقب ارتكاب فعلته؟ إن القتل مع سبق الإصرار يقترن دائماً بالهدوء والثبات، وإذا اضطرب القاتل لسبب ما، فلا يمكن أن يصل اضطرابه إلى الصورة التي وصفتَها.

- نحن نجهل كل ظروف المأساة، فمن المحتمَل أنهما تشاحنا فأطلق لورنس الرصاص في ثورة غضبه، ثم هاله ما فعل، وهذا أقرب الفروض إلى تصوّري.

- يا عزيزي القس، أنا أعلم أنه من الممكن النظر إلى الأمور من زوايا مختلفة، لكن دعنا نستعرض الحقائق، فالحقائق التي نعرفها لا تؤيد نظريتك، فقد قالت خادمتك إن لورنس ريدنغ لم يمكث في مكتبك أكثر من دقيقتين، ودقيقتان لا تكفيان للشجار، أضف إلى ذلك أن الكولونيل قُتل برصاصة أصابت مؤخرة رأسه وهو يكتب، هذا على الأقل ما ذكرَته لي خادمتي.

فقالت غريزلدا: لقد ذكرَت لك الحقيقة، فقد كان الكولونيل يكتب رسالة قال فيها إنه لا يستطيع الانتظار أكثر ممّا انتظر، وكان بأعلى الرسالة هذه الكلمات: "الساعة السادسة وعشرون دقيقة"، وكان عقربا الساعة المهشَّمة يشيران إلى الساعة السادسة واثنتين وعشرين دقيقة، وذلك ما يحيّرني أنا وليونارد لأننا تعوّدنا أن نقدّم الساعة خمس عشرة دقيقة.

فقالت الآنسة ماربل: هذا عجيب حقاً! ولكن المتهم...

ولم تتمّ عبارتها ونظرَت إلى الباب المؤدي إلى الحديقة، فقد كانت ليتيسيا تقف بالباب وما لبثَت أن دخلت وقالت محيّية: طاب يومكم.

ثم تهالكَت على أقرب مقعد وقالت بانفعال لم نألفه منها: إذن فقد ألقوا القبض على لورنس، أليس كذلك؟

فأجابت غريزلدا: بلى، وكان النبأ صدمة لنا.

فقالت الفتاة ببساطة: لم أكن أتصور أن أبي سيُقتل يوماً ما، رغم اعتقادي أن كثيرين كانوا يودّون قتله. أنا نفسي قد مرّت بي لحظات...

فقاطعَتها غريزلدا قائلة: هل أُحضر لك عصيراً يا ليتيسيا؟

- لا، شكراً لكِ، إنما جئت للبحث عن قبعتي، القبعة الصغيرة الصفراء. أعتقد أنني نسيتها في غرفة المكتب قبل يومين.

فقالت غريزلدا: إذن فلا بدّ أنها لا تزال هناك، فماري لا تمسّ شيئاً في غرفة المكتب.

فقالت ليتيسيا وهي تنهض: إذن سأبحث عنها هناك.

فقلت لها: أظن أن ذلك غير ممكن الآن، فقد أغلق المفتّش باب الغرفة واحتفظ بالمفتاح.

- هذا أمر مزعج. ألا يمكن الدخول من الباب المطلّ على الحديقة؟

- ذلك مستحيل؛ فهذا الباب مغلق من الداخل، ثم إن القبعة الصفراء لم تعُد تلائمكِ الآن.

- هل تعنين أنني يجب أن أرتدي ثياب الحداد؟ لا، أنا لا أفكر في ذلك ولا أُقرّ تلك التقاليد العتيقة. أليس ممّا يؤسَف إليه

أن يُتَهَم لورنس بقتل أبي؟

ثم نهضت واقفة وشرد بصرها في الفضاء لحظة ثم قالت: من يدري؟ لعل كل ذلك قد حدث بسببي، أو على الأصحّ بسبب ثوب الاستحمام.

فهمّت غريزلدا بالكلام لكنها أمسكت فجأة، ثم قالت ليتيسيا وعلى شفتيها ابتسامة غريبة: يجب أن أعود إلى المنزل لأخبر آن أن لورنس قد قُبض عليه.

ثم انصرفت من الباب المؤدّي إلى الحديقة كما دخلَت، وتحوّلت غريزلدا إلى الآنسة ماربل وسألتها: لماذا ضغطت على قدمي؟

- خشيتُ أن تتحدثي في موضوع الجريمة. من الأفضل أن يدع الإنسان الأمور تسير في مجراها الطبيعي في مثل هذه الظروف، ثم إن تلك الفتاة ليست ساذجة بمثل ما تبدو.

وفي تلك اللحظة دخلت ماري لتقول لي إن الكولونيل ملشيت يريد مقابلتي وإنه ينتظرني في قاعة الاستقبال، وكان ملشيت هو مدير شرطة الناحية.

* * *

الفصل السابع

كان الكولونيل ملشيت رجلاً قصير القامة أزرق العينين أحمر شعر الرأس تنمّ ملامحه عن الذكاء واليقظة، وقال حينما رآني: طاب صباحك أيها الأب المحترَم. كانت نهاية مؤلمة لذلك المسكين بروثيرو، أليس كذلك؟ أرجو أن لا يكون وقوع هذا الحادث في بيتك قد أزعج زوجتك؟

فأجبتُه بأن غريزلدا استقبلت الحادث بشجاعة ورباطة جأش فقال: يسرّني أن أعلم ذلك. يا إلهي! من كان يظنّ أن ريدنغ يُقدِم على ارتكاب مثل هذه الجريمة؟ كان ذلك مفاجأة لي، وكانت المفاجأة الثانية أنه سلّم نفسه.

- هل تعرف كيف حدث ذلك؟

- لقد ذهب إلى مركز الشرطة في الساعة العاشرة من مساء أمس ووضع مسدسه على المكتب وقال ببساطة: أنا الذي ارتكبتُ الجريمة.

- وماذا قال عن الدافع إلى الجريمة؟

- لم يقُل شيئاً يستحقّ الذكر، فكلّ ما قاله أنه قابل بروثيرو وتشاجر معه فأطلق عليه الرصاص، ولم يذكر شيئاً عن أسباب

الشجار. ولكن حدّثني يا كليمنت، هل تعرف شيئاً عن الحادث؟ لقد سمعتُ شائعات كثيرة، ويبدو أن الكولونيل حظر على لورنس دخول بيته، فما السبب؟ هل الفتاة هي السبب؟

- نحن لا نريد إقحام ليتيسيا في الموضوع.

- لا، ليس هذا هو السبب، ولكن السبب يختلف عن ذلك تماماً، وهذا كل ما أستطيع أن أقوله لك في الوقت الحاضر.

ثم قال وهو ينهض: الناس يتكلمون كثيراً، ولكني أثق فيما قلتَه لي، ولست أكتمك أنني منزعج من أجل لورنس. لقد كان يخيَّل إليّ دائماً أنه شابّ مهذّب، وكل ما أرجوه الآن أن يكون لجريمته مبرر. سأذهب الآن للقاء الطبيب هايدوك، فهل تأتي معي؟

وطاب لي أن أرافقه فخرجنا معاً، وكان بيت هايدوك يقع على مقربة من بيتي فوجدنا الطبيب يتناول فطوره، وقال لي وهو يبتسم: أنا عائد من حالة وضع توّاً. هل تعلم أنني قضيتُ شطراً طويلاً من الليل مع قضية بروثيرو؟ لقد استخرجتُ الرصاصة.

ثم وضع على المائدة علبة صغيرة، فنظر ملشيت إلى الرصاصة في العلبة وقال: هذه رصاصة مسدس من عيار ٥٢.

فهزّ هايدوك رأسه وقال: يجب أن أحتفظ بالتفصيلات الفنّية للمحققين، وكل ما أستطيع أن أقوله الآن هو أن الوفاة حدثت على الفور، ولكن أليس غريباً أن أحداً لم يسمع صوت الطلق الناري؟!

فقال ملشيت: هذا ما يدهشني أيضاً.

فقلتُ: لم يكن بالبيت وقتئذ سوى ماري، وهي تقضي كل وقتها في المطبخ، وليس للمطبخ سوى نافذة واحدة تطلّ على الجانب الآخر للبيت.

فقال ملشيت: وجارتكم العجوز الآنسة ماربل، ألم تسمع شيئاً؟ لقد كان باب المكتب المطل على الحديقة مفتوحاً على مصراعيه.

فأجبتُ قائلاً: لقد زارتني منذ قليل ولم تذكر لي أنها سمعَت شيئاً.

- لا بدّ أنها سمعت صوت الطلق الناري ولم تُلقِ إليه بالاً ظنّاً منها أن مصدره انفجار إطار إحدى السيارات.

فقال هايدوك: إذن لا فبدّ أن القاتل استخدم جهازاً لكتم الصوت، هذا هو التفسير الوحيد.

ولكن ملشيت هزّ رأسه نفياً وقال: المفتّش لاندرومي لا يعتقد ذلك لأنه سأل لورنس عمّا إذا كان قد استخدم جهازاً كاتماً للصوت فنفى ذلك بشدة.

فقال هايدوك: هل عرفتم الدافع إلى الجريمة؟

- قال إنه اختلف مع بروثيرو وثارت ثائرته فتصرف بلا وعي.

- لعله أراد أن ينفي عن نفسه تهمة التعمّد وسبق الإصرار.

فهزّ هايدوك رأسه وقال: هذا زعم باطل، فقد تسلل القاتل وراء بروثيرو وأطلق الرصاص على مؤخرة رأسه وهو يكتب. إن أقوال لورنس تتعارض تماماً مع الحقائق.

فقلتُ مكرّراً ما سمعتُه من الآنسة ماربل: أضِف إلى ذلك أنه لم يكن في الوقت متسع للشجار لأنه لم يمكث في البيت أكثر من دقيقتين، وهي مدّة لا تكفي للمشاجرة مع بروثيرو، ومن ثم التسلل وراءه وإطلاق الرصاص عليه، ثم العبث بعقربَي الساعة.

فقال هايدوك: لورنس يكذب، هذا أمر لا شك فيه.

فقال ملشيت: أعتقد أن أفضل ما نستطيع عمله هو أن نقابل لورنس شخصياً في مركز الشرطة.

* * *

الفصل الثامن

ذهبنا جميعاً إلى مركز الشرطة وقابلنا لورنس ريدنغ في مكتب المفتّش لاندرومي، وكان الشابّ شاحب الوجه ولكنه هادئ تماماً هدوءاً يبدو غريباً في مثل ظروفه، فبدأ ملشيت حديثه بقوله: أصغِ إليّ يا لورنس، لقد اعترفتَ للمفتّش بأنك ذهبت إلى بيت القس فيَ نحو الساعة السابعة إلا الربع وأنك قابلتَ الكولونيل بروثيرو هناك فحدث بينكما خلاف انتهى بأن أطلقت عليه الرصاص ثم غادرت البيت. أنا لم أقرأ أوراق التحقيق، ولكن ذلك ما فهمتُه من تلخيص المفتّش لأقوالك، فهل هذا صحيح؟

- نعم.

- إذن فسألقي عليك بضعة أسئلة، ولكَ مطلَق الحرية في أن تجيب عليها أو لا تجيب، كما أن من حقك أن تستعين بمحاميك.

فأجاب الشاب: لستُ في حاجة إلى محامٍ، وليس عندي ما أخفيه. أنا الذي قتلت بروثيرو.

- ليكن ذلك، ولكن كيف اتفق وجود مسدس معك؟

فأجاب لورنس بعد تردد قصير: كان المسدس في جيبي.

- هل أخذته معك عندما ذهبت إلى بيت القس؟

- نعم.

- لماذا؟

فتردّد الشاب مرة أخرى قبل أن يجيب: أنا أحمله معي دائماً.

- ولماذا أخّرتَ عقربَي ساعة المكتب؟

- ساعة المكتب؟

- نعم، فقد وجدنا عقربَيها يشيران إلى الساعة السادسة والدقيقة الثانية والعشرين.

فظهرَت دلائل الفزع على وجه لورنس ريدنغ وقال متلعثماً: آه، نعم، لقد عبثتُ بالعقربين.

وهنا تدخّل هايدوك فجأة وسأل: إلى أيّ جزء من جسم بروثيرو سدّدتَ رصاصتك؟

- أظن... أظن أنني سددتها إلى الرأس.

- هل أنت واثق من ذلك؟

- لا بدّ أنك تعرف، فلماذا تسألني؟

وكان واضحاً أنه يحاول التهرّب من الإجابة، وفي تلك اللحظة دخل أحد رجال الشرطة وبيده رسالة وقال: هذه رسالة إلى السيد القس.

فتناولتُ الرسالة وفضضتُها فقرأت فيها ما يلي: "أرجوك

الحضور إلى مقابلتي، فأنا لا أعرف ماذا يجب أن أفعل، أريد أن أعترف، فأتوسّل إليك أن تحضر فوراً وأن تصحب معك شخصاً آخر. الإمضاء: آن بروثيرو".

فنظرتُ إلى ملشيت نظرة فهم معناها، ثم نهضنا معاً للانصراف، وقبل أن أغادر المكان التفتّ إلى لورنس فرأيته ينظر إلى الرسالة التي في يدي باهتمام وإصرار، ولستُ أذكر أنني رأيت على وجه إنسان ما رأيته على وجه لورنس في تلك اللحظة من دلائل اليأس والألم، وعلى الفور تذكّرتُ كلمات آن بروثيرو حين قالت لي إنها في أشدّ حالات اليأس، فأدركت لماذا اعترف لورنس بارتكاب تلك الجريمة البشعة. لقد كذب بشهامة لإنقاذ المرأة التي يحبها.

وقبل أن نغادر مركز الشرطة التفتَ ملشيت إلى المفتّش لاندرومي، وقال له بصوت خافت: حاول أن تعرف كيف قضى لورنس وقتَه قبل الجريمة، فلدينا من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد بأن الجريمة ارتُكبت قبل الوقت الذي ذكره.

ثم نظر إليّ ولم يتكلم فقدّمت إليه رسالة آن بروثيرو فقرأها، وبدت على وجهه دلائل الدهشة ثم قال: أهذا ما كنت تلمّح إليه صباح اليوم؟

- نعم، ولكنني لم أكن واثقاً ممّا يقتضيه واجبي، هل أتكلم أم ألزم الصمت؟ أما الآن فأنا أعرف ما يجب عليّ عمله.

ثم وصفتُ له المشهد الذي رأيتُه في الحظيرة، ومن ثم تحدّث ملشيت إلى المفتّش مرة أخرى، وانطلقنا بعد ذلك ومعنا الطبيب هايدوك إلى بيت الكولونيل بروثيرو، واستقبلَنا أحد الخدم فطلب

منه ملشيت أن يخبر سيدته بأننا نريد مقابلتها، وعاد الخادم بعد لحظات ليقول إن السيدة في انتظارنا فقال له ملشيت: نحن بحاجة إلى معلومات عمّا حدث أمس في هذا البيت، أخبرني، هل تناول سيدك طعام الغداء هنا؟

- نعم يا سيدي.

- هل كان في حالته الطبيعية؟

- لم ألحظ شيئاً غير عاديّ.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- بعد الغداء ذهبَت سيدتي إلى غرفتها طلباً للراحة في حين ذهب الكولونيل إلى مكتبه، أمّا الآنسة ليتيسيا فقد استقلّت السيارة الصغيرة وانطلقت إلى مباراة التنس، وفي الساعة الرابعة والنصف تناول الكولونيل والسيدة بروثيرو الشاي في قاعة الاستقبال، وأمرا بالسيارة الكبيرة أن تُعَدّ في الساعة الخامسة والنصف لأن لديهما عملاً في القرية، وما إن خرجا حتى دقّ جرس الهاتف، وكان المتكلم هو سيدي القس.

وأومأ برأسه نحوي فقال ملشيت: متى جاء السيد ريدنغ إلى هذا البيت لآخر مرة؟

- بعد ظهر يوم الثلاثاء يا سيدي.

- هل تشاجر مع الكولونيل؟

- أظن ذلك يا سيدي، فقد أصدر الكولونيل أوامره بعدم السماح للسيد ريدنغ بدخول البيت بعد ذلك.

- هل سمعتَ شيئاً ممّا قيل خلال الشجار؟

- كان الكولونيل يتكلم بصوت مرتفع كعادته، وكان صوته يزداد ارتفاعاً وهو غاضب؛ فسمعتُ بعض الألفاظ.

- هل سمعتَ ما يكفي لمعرفة أسباب الخلاف؟

- أظن أن السبب كان الصورة التي رسمها السيد ريدنغ للآنسة ليتيسيا.

- وهل رأيتَ السيد ريدنغ عندما غادر البيت؟

- نعم، فقد رافقتُه إلى الباب.

- هل كان غاضباً؟

- لا، إطلاقاً، فقد كان يبدو عليه عدم الاكتراث.

- آه، وهل عاد إلى البيت بعد ذلك؟

- لا.

- هل جاء إلى البيت أيّ إنسان آخر؟

- لا، لم يأت أحد أمس.

- وأمس الأول؟

- أمس الأول جاء سيدي القس بعد الظهر، وكذلك الدكتور ستون ومكث لحظة، وفي المساء جاءت إحدى السيدات.

فهتف ملشيت بدهشة: إحدى السيدات؟ من هي؟

فحاول الخادم أن يتذكر اسم السيدة فلم يستطِع، وقال إنه لا

يعرفها ولم يرَها من قبل، وقد ذكرَت له اسمها وعندما أفهمها أن الأسرة تتناول طعام العشاء أجابت بأنها ستنتظر، فذهب بها إلى قاعة الاستقبال، وهو يذكر أنها طلبَت مقابلة الكولونيل شخصياً ولم تطلب مقابلة السيدة بروثيرو، وأنه أخبر الكولونيل بعد العشاء فذهب تواً إلى حيث كانت السيدة تنتظره.

- كم مكثَت السيدة بالبيت؟

- نحو نصف ساعة، وقد رافقها الكولونيل بنفسه إلى الباب. آه، لقد تذكرت الآن اسمها، إنها تُدعى السيدة لترانغ.

فلم نستطِع إخفاء دهشتنا وقال ملشيت: هذا عجيب حقاً!

وانتهى الحديث مع الخادم عند هذا الحدّ؛ فقد أرسلَت السيدة بروثيرو من يخبرنا بأنها على استعداد لاستقبالنا، وكانت آن في فراشها شاحبة الوجه لامعة العينين وعلى وجهها دلائل الألم والعزم فقالت تحدّثني: شكراً على إسراعك بالقدوم، فمن الواضح أنك فهمت غرضي حين طلبتُ منك في رسالتي أن تُحضر أحداً.

وكفّت عن الكلام لحظة ثم عادت فاستطردت قائلة وعلى شفتيها شبح ابتسامة حزينة: أظن من الأفضل الانتهاء من هذا الموضوع بأسرع ما يمكن، أليس كذلك؟ كولونيل ملشيت، أنا التي قتلتُ زوجي.

فغمغم ملشيت بهدوء وبلهجة من لا يصدّق ما سمع: مسكينة أنت يا سيدة بروثيرو.

- ولكن تلك هي الحقيقة. لقد كنتُ أمقته منذ وقت طويل،

وقد قتلتُه أمس.

ثم أدارت رأسها على الوسادة وقالت وهي تغمض عينيها: هذا كل ما أردتُ أن أقوله. أنت ستقبض عليّ، أليس كذلك؟ سأنهض لأرتدي ثيابي بأسرع ما أستطيع، ولكني أشعر بوعكة الآن.

فقال ملشيت: ألا تعلمين يا سيدتي أن لورنس ريدنغ اعترف بارتكاب الجريمة؟

ففتحت عينيها وهزّت رأسها بقوة وقالت: بلى، أعلم، ولكنه شابّ غبيّ. إنه يحبّني، وكان كرماً منه أن يعترف بذلك ليحميني، ولكن ذلك هو الجنون بعينه.

- هل كان يعلم أنكِ ارتكبت الجريمة؟ وكيف علم؟

فتردّدَت ولم تُجِب، فسألها ملشيت: هل صارحته بذلك؟

فبدا عليها التردد مرة أخرى ثم حزمت أمرها وأجابت: نعم.

وهزّت كتفها بعد قليل وقالت: ألا تستطيعون الانصراف الآن أيها السادة؟ لقد قلتُ لكم كل شيء، وليس عندي ما أضيفه.

فسألها ملشيت بلطف وكأنه لم يسمع: ومن أين لك بالمسدس يا سيدتي؟

- المسدس؟ كان لزوجي، وقد أخذته من دُرج مكتبه.

- و هل حملته معك إلى بيت القس؟

- نعم، فقد كنت أعلم أن زوجي سيكون هناك.

- في أية ساعة حدثت الجريمة؟

- بعد الساعة السادسة، بين السادسة والربع والسادسة وعشرين دقيقة.

- هل أخذت المسدس لكي تقتلي به زوجك؟

- لا، بل أخذته لأقتل به نفسي.

- ولكنك ذهبت به إلى بيت القس، أليس كذلك؟

- بلى، وقد اقتربت من باب الشرفة المطلة على الحديقة ولم أسمع أيّ صوت، فنظرتُ إلى الداخل فرأيت زوجي، ولا أعلم ماذا دهاني حين أطلقت الرصاص.

- وبعد ذلك؟

- وبعد ذلك انصرفت.

- لكي تروي للسيد ريدنغ ما فعلت، أليس كذلك؟

فأجابت بعد تردد قصير: بلى، لكي أروي له ما فعلتُ.

- هل رآك أحد عندما دخلت بيت القس؟

- لا، أو على الأصح، نعم، رأتني الآنسة ماربل، وكانت في حديقتها فتبادلتُ معها بعض الكلمات.

قالت ذلك وحرّكَت رأسها على الوسادة بعصبية ثم هتفت: ألا يكفي هذا؟ لقد قلتُ كل شيء، فلماذا تصرّ على إزعاجي؟

فاقترب منها الطبيب هايدوك وجسّ نبضها وقال بصوت خافت وهو ينظر إلى ملشيت: سأبقى معها ريثما تتخذ إجراءاتك،

فأنا أخشى أن تؤذي نفسها إذا تُركَت وحدها.

أومأ ملشيت برأسه موافقاً، ثم غادرنا الغرفة وشرعنا نهبط الدرَج، وحينئذ لمحتُ خادماً نحيفاً يخرج من إحدى الغرف، فعُدت إلى ارتقاء الدرَج بدافع غريزي وسألت الخادم: هل تعمل في خدمة الكولونيل منذ وقت طويل؟

فبدت الدهشة على وجه الرجل وأجاب بالإيجاب فسألته: هل تعلم إذا ما كان سيدك يمتلك مسدساً؟

- لا أذكر أنني رأيت عنده مسدساً يا سيدي.

- ولا في دُرج مكتبه؟ حاول أن تتذكر.

فهزّ رأسه بحزم وأجاب: لو كان لديه مسدس لرأيته بغير شك.

ثم هبطتُ الدرَج وثباً ولحقت بالكولونيل ملشيت. كنتُ واثقاً من أن السيدة بروثيرو كذبت فيما يختصّ بالمسدس، ولكن لماذا؟!

* * *

الفصل التاسع

بعد أن ترك ملشيت مذكّرة في إدارة الشرطة أبدى لي رغبته في مقابلة الآنسة ماربل فقال: تعالَ معي يا عزيزي القس، فوجودك قد يحول دون إصابة تلك العانس بانهيار عصبي.

فكدت أقهقه ضاحكاً لأنني أعرف أن للآنسة ماربل القدرة على مواجهة كل شرطة العالم. ثم سألني ونحن في الطريق إلى بيتها قائلاً: أيّ نوع من النساء هي؟ وهل يمكن الاطمئنان إلى شهادتها؟

- أعتقد أن بوسعك أن تثق بأقوالها إذا تكلمَت عن مشاهداتها، أما استنتاجاتها فمسألة أخرى، فهي واسعة الخيال وتنظر إلى الأمور من نواحيها السيئة.

فقال ضاحكاً: مثلها في ذلك مثل سائر العوانس.

* * *

فتحَت لنا الباب خادمة في مقتبَل العمر ورافقَتنا إلى قاعة استقبال صغيرة، فقال ملشيت وهو يجيل الطرف حوله: قاعة صغيرة، ولكنها حافلة بالتحف الجميلة. ما رأيك يا كليمنت؟

وقبل أن أجيب فُتح الباب ودخلت الآنسة ماربل، فقال

ملشيت بعد أن قدمتُه إليها: معذرة عن المضايقة يا سيدتي، ولكن ما حيلتي؟ إنه الواجب.

فقالت: لا عليك يا كولونيل، فأنا أعرف الظروف. تفضّلا بالجلوس.

فأجاب ملشيت: شكراً لك يا سيدتي. لنتحدث في الموضوع، أعني موضوع ذلك الحادث المؤسف الذي أزعجنا جميعاً. لقد خطر لنا، نظراً لموقع بيتك وحديقتك، أنك ربما استطعت إمدادنا ببعض المعلومات.

- الواقع أنني كنتُ في حديقتي طَوال مساء أمس، ومن الحديقة يستطيع الإنسان أن يرى كلّ ما يحدث عند الجيران.

- قيل لي إن السيدة بروثيرو مرّت من هنا مساء أمس، هل هذا صحيح؟

- نعم، هذا صحيح، وقد تحدثتُ إليها، وقد توقفَت قليلاً لتعبّر عن إعجابها بزهوري.

- هل في استطاعتكِ أن تقولي لنا متى كان ذلك؟

- كان ذلك في الساعة السادسة وست عشرة أو سبع عشرة دقيقة لأن ساعة الكنيسة دقّت السادسة والربع قبل ذلك بلحظات، ثم قالت لي السيدة بروثيرو إنها ستلحق بزوجها في بيت القس لكي يعودا معاً إلى بيتهما، فسلكَت الممر الضيق المؤدي إلى الحديقة الخلفية لبيت القس.

- تقولين أنها سلكت الممرّ الضيق؟

- نعم، تعالَ وانظر.

ثم نهضت بنشاط وسارت بنا إلى حديقتها فأشارت إلى الممر وقالت: ويوجد طريق آخر يوصّل إلى القصر القديم، بيت الكولونيل بروثيرو، وكانت السيدة بروثيرو قادمة من طريق القرية.

- هل أنت واثقة من أنها كانت ذاهبة إلى بيت القس؟

- هذا أمر لا شك فيه، فقد رأيتُها تنحرف عند ركن البيت، ومن المحقَّق أن الكولونيل لم يكن في بيت القس في تلك اللحظة لأنني رأيته قادماً بعد قليل، أما هي فقد اجتازت الحديقة واتجهت إلى الحظيرة، الحظيرة الصغيرة التي تراها هناك والتي وضعها القس الطيّب تحت تصرف السيد ريدنغ.

- هل سمعت صوت طلق ناريّ يا آنسة ماربل؟

- في ذلك الوقت لم أسمع صوت طلق ناري.

- هل سمعت صوت طلق ناري في وقت آخر؟

- نعم، أعتقد أنني سمعت صوت طلق ناري صادراً من الغابة بعد نحو خمس أو عشر دقائق، ولا يمكن أن...

وصمتت فجأة وقد ظهرت على وجهها دلائل التفكير فقال ملشيت: إذن فقد اتجهَت السيدة بروثيرو إلى الحظيرة، أليس كذلك؟

- بلى، لقد دخلت الحظيرة وانتظرت حتى لحق بها السيد ريدنغ الذي جاء من ناحية القرية بعد قليل، وقد مرّ من باب الحديقة الأمامي ونظر حوله.

- وهل رآك؟

- لا، لم يكن في استطاعته أن يراني لأنني انحنيت في تلك اللحظة لأنزع عود نبات طفيلي، وقد اتجه هو أيضاً إلى الحظيرة.

- ألم يتجه إلى بيت القس أولاً؟

- نعم، لم يتّجه إلى البيت بل اتجه إلى الحظيرة مباشرة، وخرجَت السيدة بروثيرو لاستقباله عند الباب، ثم دخلا الحظيرة معاً.

قالت ذلك وصمتت، وكان لصمتها مغزاه فقلت بشيء من الخجل: لعله كان يرسم صورة لها.

- ربما.

- ومتى غادر الحظيرة؟

- بعد نحو عشر دقائق.

- هل أنت واثقة من تلك المدّة بالتحديد؟

- لقد دقّت الساعة وقتئذ معلنة السادسة والنصف، وعندما كانا يسيران في الممر الضيّق لمحهما الدكتور ستون الذي كان يمشي في الطريق إلى القصر القديم فوثب فوق أكوام القش وانضمّ إليهما، وأعتقد أنهم قابلوا الآنسة كرام بعد قليل، نعم، لا بدّ أنها كانت الآنسة كرام، فهي وحدها التي ترتدي ثياباً قصيرة في هذه الناحية.

- لا بدّ أن لك قوة إبصار رائعة لكي تتبيّني الأشياء من هنا

يا آنسة ماربل؟

فأجابت بهدوء: الواقع أنني كنت أرقب أحد الطيور الصغيرة بمنظاري.

- ولكن ما دُمت قوية البصر إلى هذا الحد فهل لاحظت سلوك السيدة بروثيرو وريدنغ عندما مرّا على مقربة منك؟

- كانا يتحدثان ويضحكان ويبدو عليهما أنهما سعيدان بوجودهما معاً.

- ألم تلاحظي عليهما دلائل القلق وانشغال البال؟

- إطلاقاً، بل العكس هو الصحيح.

- هذا عجيب!

وهنا أدهشتنا الآنسة ماربل إذ قالت بهدوء غريب: هل اعترفَت السيدة بروثيرو بارتكاب الجريمة؟

فهتف ملشيت: كيف علمت؟

- ذلك مجرد استنتاج، ولا بدّ أن تكون تلك العزيزة ليتيسيا قد استنتجت ذلك أيضاً، فهي فتاة ذكية. إذن فقد اعترفَت آن بروثيرو بقتل زوجها، أليس كذلك؟ أنا لا أصدّق أنها قالت الحقيقة. إن امرأة مثلها... ولكن مَن يدري؟ لم يعد الإنسان يثق بشيء أبداً. ماذا قالت عن وقت حدوث الجريمة؟

- قالت إنها ارتكبَتها في الساعة السادسة وعشرين دقيقة، أيْ عقب مقابلتك مباشرة.

فهزّت الآنسة ماربل رأسها ببطء وحزن كأنها تقول: ممّا

يؤسف له أن يكون هذان الرجلان من الغباء بحيث يصدّقان هذا الزعم.

ثم سألت: بماذا ارتكبَت الجريمة؟

- بمسدس.

- أين وجدَته؟

- أحضرَته معها.

فصاحت الآنسة ماربل بحزم: غير صحيح، أقسم إنها لم تكن تحمل سلاحاً.

- لعلك لم تريه.

- بل كان يجب أن أراه.

- لعلها كان تخفيه في حقيبتها.

- لم تكن معها حقيبة.

- إذن لعلها أخفته في ثيابها.

- يا عزيزي الكولونيل ملشيت، ألا تعرف كيف ترتدي الشابّات ثيابهن في هذا الزمن؟ إنهنّ لا يخجلن من إظهار مفاتنهن، وأؤكّد لك أن السيدة بروثيرو لم تكن تخفي سلاحاً في ثوبها.

فقال ملشيت بإصرار: ولكنكِ لا تتصورين أن أقوالها تتفق مع الحقائق، فقد توقفَت الساعة المحطمة عند الساعة السادسة واثنتين وعشرين دقيقة، ثم إن...

فقاطعته الآنسة ماربل بأن قالت وهي تنظر إليّ: ألم تذكر له

الحقيقة عن تلك الساعة؟

فهتف ملشيت: أية حقيقة؟

فذكرتُ له كيف أننا تعودنا أن نقدّم عقربَي الساعة ٥١ دقيقة فصاح: ولكن يا عزيزي كليمنت لماذا لم تقُل ذلك للمفتّش لاندرومي أمس؟

- لأنه لم يدعني أنطق بكلمة.

- هذا أمر مضحك، كان يجب أن تصرّ.

- لقد حاولتُ، ولكن دون جدوى.

- كل هذا يبعث على الحيرة، فلو جاء الآن شخص ثالث وزعم أنه القاتل لذهبتُ إلى مستشفى المجانين.

فقالت الآنسة ماربل: هل تسمح لي أن أبدي رأياً.

- أنا مصغ إليكِ.

- إذا قلتَ للسيد ريدنغ إن السيدة بروثيرو قد اعترفت ولكنك لا تصدقها، ثم ذهبتَ إلى السيدة بروثيرو وقلت لها إنك تحققتَ من براءة السيد ريدنغ وإنه لا يد له في الجريمة، إذا فعلتَ هذا فقد يصارحانك بالحقيقة.

فقال ملشيت: هذا رأي صائب، رغم أنني أعتقد أنه لا يوجد سواهما مَن لديه دافع إلى قتل بروثيرو.

- اسمح لي أن أخالفك في ذلك أيها الكولونيل.

- لماذا؟ هل ترتابين في شخص آخر؟

- يا إلهي!

وبسطَت أصابع يديها وراحت تحصي عليها ثم قالت: يوجد سبعة أشخاص على الأقل كان يسرّهم التخلص من بروثيرو.

- سبعة أشخاص في تلك القرية الصغيرة!

فابتسمت الآنسة ماربل وقالت: يجب أن تلاحظ أنني لم أذكر أسماء، فالقانون لا يرحم في قضايا القذف.

* * *

الفصل العاشر

عندما غادرنا منزل الآنسة ماربل قال ملشيت: هذه العانس تظن أنها تعرف كل شيء، وأراهن على أنها لم تبرح تلك القرية طَوال حياتها، فماذا يمكن أن تعرف عن الحياة؟

فقلتُ له إنها قد لا تعرف شيئاً عن الحياة بمعناها العريض، ولكنها تعرف كل ما يحدث في القرية، ولم يستطِع ملشيت إلا الاعتراف بأن الآنسة ماربل كانت خير شاهد لمصلحة السيدة بروثيرو، ولكنه قال: هل أنت واثق من أننا نستطيع الاطمئنان إلى تأكيداتها؟

- كل الثقة، ومتى قالت الآنسة ماربل إن السيدة بروثيرو لم تكن تحمل مسدساً فصدّقها، ولو كان لديها أيّ شك في هذا الصدد لأثارته بكل قوة.

- هذا صحيح، ولعل من الأفضل أن نرى الحظيرة بأنفسنا الآن.

كانت الحظيرة عبارة عن غرفة صغيرة خالية من النوافذ يتدلّى من سقفها مصباح، وفحصها ملشيت بعناية ثم قال إنه سيعود مرة أخرى ومعه لاندرومي، ثم تركني ومضى.

وما إن دخلتُ البيت حتى سمعت لغطاً، وعندما فتحت الباب رأيت الآنسة كرام جالسة على الأريكة جنباً إلى جنب مع غريزلدا فهتفَت الفتاة عندما أبصرَتني: طاب يومك يا سيد كليمنت.

واستطردَت قائلة على الأثر: كل تلك التفصيلات عن مصرع الكولونيل تدعو إلى الأسى حقاً. مسكين هذا الرجل.

فقالت غريزلدا: لقد جاءت الآنسة كرام بعدما سمعِت بالنبأ.

فقالت الفتاة: من الطبيعي أن يشعر الإنسان بالفضول إلى معرفة ظروف حادث مخيف كهذا. لا شكّ أن وظيفتي مسلية إلى حد ما وأن الدكتور ستون رجل لطيف، ولكني أشعر بالضجر أحياناً، ففتاة مثلي من حقها أن تبحث عن شيء من التسلية والترفيه خارج دائرة عملها، والواقع أنه لا يوجد في هذه القرية المقفرة سوى حفنة من العجائز الثرثارات باستثنائك أنت يا سيد كليمنت.

فقلت: بل توجد أيضاً ليتيسيا بروثيرو.

فهزّت الفتاة رأسها وقالت: ليتيسيا تشمخ بأنفها ولا تتنازل لكي تنظر إلى فتاة مثلي تكسب قوتها بعرق جبينها، ومع ذلك فقد سمعتُها تتحدث عن رغبتها في مزاولة عمل ما، ولكن ماذا في استطاعتها أن تفعل إلا أن تعمل كعارضة أزياء؟

فقالت غريزلدا: الواقع أنها غاية في الرشاقة وتصلح عارضة أزياء ممتازة، ولكن متى تحدثَت عن رغبتها في البحث عن عمل؟

- لا أذكر تماماً، وأعتقد أنها لم تكن سعيدة في حياتها مع زوجة أبيها.

- هل يروقك العمل مع الدكتور ستون؟ فإذا كانت لديك دراية بعلم الآثار فمن المحقق أنك ستجدين العمل معه ممتعاً.

- درايتي بعلم الآثار محدودة، والواقع أنني أجد من المضحك أن يقضي الإنسان حياته في نبش قبور أناس ماتوا منذ مئات السنين، ولكن الدكتور يحب هذا العمل ويُستغرق فيه إلى حد نسيان الطعام والشراب.

- هل ذهب إلى الحفريات اليوم؟

- لا، فهو متوعك ولا يشعر برغبة في العمل، ولذلك أجدني حرّة اليوم.

فقلت: يؤسفني أن أعلم أنه مريض.

- إنها مجرد وعكة، ولا أعتقد أن القرية ستفقد رجلين في يومين متتاليَين. ولكن حدثني يا سيد كليمنت، لقد قيل لي إنك قضيت ساعات الصباح مع المحققين، فما رأيهم في الحادث؟

- لم يصلوا إلى نتيجة بعد.

- إذن فهم لا يعتقدون أن لورنس هو القاتل، أليس كذلك؟ يا له من شابّ وسيم! من ينظر إليه يخاله من نجوم السينما، كما أن له ابتسامة رائعة. الحقيقة أنني لم أصدّق أذني حين قيل لي إنه اعتُقل، وزاد اعتقادي حينئذ بأن رجال الشرطة ليسوا إلا حفنة من المغفَّلين.

- ليس لأحد أن يلومهم هذه المرة لأن السيد ريدنغ هو الذي سلّم نفسه إليهم.

- يا له من مسكين! لو أنني ارتكبت جريمة قتل لما سلّمت نفسي إلى الشرطة أبداً. لقد كنتُ أظنّ لورنس أعقل من ذلك. هل ذكر سبب قتله بروثيرو؟

فأجبتها: لم يثبت أنه قتَله.

- إذا كان قد اعترف فلا بدّ أنه يعرف السبب.

- الشرطة لم تقتنع باعترافه.

- إذن لماذا اعترف بجريمة لم يرتكبها؟

ولم أشأ أن أُشبِع فضولها في هذا الصدد فأجبتها: غالباً ما يحدث في مثل هذه الظروف أن تتلقّى الشرطة رسائل من أناس يتهمون أنفسهم على هذا النحو.

- هذا جنون!

ثم تنهدَت وقالت: أظن أنني يجب أن أذهب الآن.

ثم استطردَت قائلة: سيدهَش الدكتور ستون عندما يعلم أن لورنس اعترف بارتكاب الجريمة. إلى اللقاء.

* * *

قالت غريزلدا بعد انصراف الفتاة: لستُ أراها سيئة كما يصفونها، إنها فتاة بدينة مرحة لا يستطيع الإنسان أن يكرهها. والآن يا ليونارد يجب أن تذكر لي كل ما تعلمه.

فرويتُ لها أحداث الصباح، وقد قاطعتني مراراً للتعبير عن دهشتها أو استنكارها، ثم قالت أخيراً: إذن كان لورنس مولَعاً بآن وليس بليتيسيا كما توهمنا! ما أشد غباءنا! لا بدّ أن ذلك ما ألمحَت إليه الآنسة ماربل.

فأجبت وأنا أشيح بوجهي: أجل.

وهنا دخلت ماري وقالت لي: بالباب رجلان يقولان إنهما صحفيان، فهل تريد مقابلتهما؟

- لا، نهائياً، ابعثي بهما إلى المفتّش لاندرومي بمركز الشرطة، ومتى فرغت منهما فعودي إليّ؛ فأنا أريد أن أستفسر عن بعض الأمور.

فهزّت رأسها وخرجت، ثم عادت بعد قليل وهي تقول: لقد تخلصتُ منهما بصعوبة.

- يجب أن تتوقعي مزيداً من هذه المضايقات يا ماري. والآن حدّثيني، هل أنت واثقة تمام الثقة من أنكِ لم تسمعي صوت طلق ناري؟

- الطلق الذي قتل الكولونيل؟ أنا واثقة من أنني لم أسمعه، وإلاّ لأسرعت إلى الغرفة لمعرفة ما حدث.

وهنا تذكرتُ ما قالته الآنسة ماربل من أنها سمعَت طلقاً نارياً صادراً من ناحية الغابة فسألتُ ماري: ألم تسمعي صوت طلق ناريّ صدر من جهة أخرى كالغابة مثلاً؟

- آه، تذكرت الآن، نعم، سمعتُ صوت طلق واحد.

- كم كانت الساعة؟

- الساعة؟

- نعم، الساعة؟

- لا أستطيع تحديد الوقت بالضبط، كان ذلك بعد موعد الشاي على كل حال.

- حاولي أن تتذكري.

- لا، لا أستطيع، الأعمال المنزلية كثيرة وليس لديّ متسع من الوقت للنظر في الساعة كل لحظة، ثم إن ساعة البهو معطَّلة، وساعة المكتب ليست مضبوطة.

- حسناً، شكراً لك.

وانصرفت الخادمة، فقلتُ لغريزلدا: من الغريب حقاً أن يتفق الجميع على أن الطلق الناري صدر من الغابة!

فقالت غريزلدا: لا غرابة في ذلك، فالناس يسمعون كل يوم طلقات بنادق صادرة من الغابة، حتى أصبحوا يتصورون كلما سمعوا طلقة أن مصدرها الغابة.

وفي تلك اللحظة فُتح الباب مرة أخرى فدخلت ماري، وقالت: الكولونيل ملشيت ومفتّش الشرطة يطلبان مقابلتك، وهما ينتظرانك في قاعة المكتب.

* * *

الفصل الحادي عشر

لاحظتُ من أول نظرة أن الرجلين ليسا على وفاق، فقد كان ملشيت محتقن الوجه في حين كان لاندرومي متجهماً. قال الأول يحدّثني: يؤسفني أن أقول لك إن لاندرومي لا يتفق معي في الرأي بشأن مركز لورنس ريدنغ في القضية.

فقال المفتّش: إذا لم يكن هو القاتل فلماذا سلّم نفسه واعترف؟

- تذكر أن السيدة بروثيرو قد فعلت بالمثل يا لاندرومي.

- ولكن الأمر يختلف، فهي امرأة، والنساء يتصرفن دائماً بغباء، ثم إنني لم أصدّق كلمة واحدة ممّا قالته. لقد علمَت أن لورنس متهَم فاخترعَت تلك الحكاية، وهذه لعبة ألفناها. أنت لا تستطيع أن تتصور مدى خداع النساء، ولكن الأمر يختلف مع لورنس، فهو شاب حصيف متزن، وإذا قال إنه القاتل فيجب أن نصدّقه. أعلم أن موضوع المسدس هو الذي يحيّرك، أما الدافع إلى الجريمة فقد عرفناه بفضل السيدة بروثيرو، لقد كان الدافع هو نقطة الضعف الوحيدة في موقفنا حيال لورنس، ولكنه لم يعُد كذلك الآن.

- أتعني إذن أنه ارتكب الجريمة قبل الساعة السادسة والنصف؟

- لا، هذا مستحيل.

- هل عرفتَ كيف قضى وقته قبل الجريمة؟

- لقد كان في القرية على مقربة من الفندق في الساعة السادسة والنصف، ومن هناك ذهب إلى الحظيرة، ثم غادرها مع السيدة بروثيرو بعد الساعة السادسة والنصف بقليل، وسارا في الطريق إلى القرية فقابلهما الدكتور ستون، وقد أكّد لي الدكتور ذلك بنفسه لأنني سألته. وبعد أن تحدّث الثلاثة لحظة أمام مبنى مكتب البريد ذهبَت السيدة بروثيرو إلى السيدة هارتنل لكي تستعير منها مجلة فِلاحة البساتين، وقد تحققتُ من ذلك بنفسي حين قابلتُ السيدة هارتنل التي قالت لي إن السيدة بروثيرو مكثَت عندها حتى الساعة السابعة ولم تنصرف إلى بيتها إلاّ عندما سمعَت دقات الساعة، وقالت وهي تنهض: لم أكن أظن أن الوقت متأخر إلى هذا الحدّ.

- وكيف كانت حالها في ذلك الوقت؟

- قالت لي السيدة هارتنل إنها كانت طبيعية جداً، بل وسعيدة، ولا يبدو عليها أيّ أثر للهم أو القلق.

- حسناً، امض في حديثك.

- أعود الآن إلى لورنس ريدنغ. لقد رافق الدكتور ستون إلى الفندق وتناول معه شراباً، ثم غادر الفندق في الساعة السادسة وأربعين دقيقة وسار في الطريق إلى بيت القسّ، ولاحظ كثيرون أنه كان يسرع الخطى.

- ألم يسلك طريق الممر الصغير هذه المرة؟

- لا، وإنما دخل من الباب الرئيسي وطلب مقابلة القس فقيل له إن بروثيرو ينتظره في المكتب، فأجاب بأنه سيذهب إليه، وهناك قتله بالطريقة التي رواها، وتلك هي ظروف الجريمة بالكامل.

فهزّ ملشيت رأسه وقال: ولكنكَ لا تستطيع تجاهل شهادة الطبيب هايدوك الذي أكّد أن الجريمة لا يمكن أن تكون قد ارتُكبت بعد الساعة السادسة والنصف.

فقلب المفتّش شفتيه وقال باحتقار: ومن ذا الذي يأبه بكلام الأطباء؟ إنهم يقولون لك إنك مصاب بالتهاب الزائدة الدودية، ويشقّون بطنك ثم يعتذرون لك بأنهم أخطؤوا.

- لا يا لاندرومي، المسألة هنا ليست مسألة خطأ في التشخيص، بل كان هايدوك واثقاً من كلامه، ولا يمكنك بحال أن تستريب في مضمون تقرير طبي.

وهنا تذكرتُ أمراً فقلت: توجد حقيقة قد تكون لها أهميتها، فعندما لمستُ الجثة كانت باردة تماماً، وأستطيع أن أقسم على ذلك.

فهتف ملشيت بلهجة الانتصار: أرأيت؟ هذا يحسم الأمر، وليس أمامنا الآن إلا أن نبدأ من البداية.

والتفت المفتّش إليّ وقال: لماذا لم تصارحني بموضوع الساعة في الوقت المناسب؟ لقد ضلّلتَ العدالة وتركتَني أسير في طريق خاطئ.

فتملّكَتني الدهشة وقلت: لقد حاولتُ ثلاث مرات ولكنك

لم تسمح لي بالكلام.

- لو كنت صادق النية لأصررت على الكلام، وقد كان الوقت المسجَّل على الرسالة يتفق مع الوقت الذي يشير إليه عقربا الساعة، ولكنك صارحتَ الكولونيل ملشيت بأنك تعودت تقديم العقربين ١٥ دقيقة. لماذا كنت تفعل ذلك؟

فقال ملشيت: على كل حال لا جدوى من مناقشة هذا الموضوع الآن، ما يهمّنا هو التحقّق من صدق أقوال لورنس ريدنغ والسيدة بروثيرو، وسيكونان هنا خلال ربع الساعة، وسأتصل بمركز الشرطة لإحضار لورنس فوراً.

فتناول السماعة وأصدر تعليماته لمركز الشرطة، ثم قال وهو يضع السماعة: أظنّ أنه يحسن بنا أن نباشر عملنا فوراً في هذه الغرفة.

ثم نظر إليّ فقلت: هل ترى من الأفضل أن أغادر المكان؟

وما كدتُ أصل إلى الباب حتى صاح بي ملشيت: أرجو أن تعود عندما يحضر لورنس، فأنت من أصدقائه وربما استطعتَ التأثير عليه لكي يصارحنا بالحقيقة.

ووجدت زوجتي تتحدث إلى الآنسة ماربل، وكان حديثهما يدور حول الجريمة فقلت للآنسة ماربل: كم أودّ أن تذكري لي أسماء الأشخاص السبعة الذين ترتابين فيهم.

- هل أنا أرتاب في سبعة أشخاص؟

- نعم، لقد قلت إن في استطاعتك أن تحصي سبعة أشخاص يسرّهم أن يموت الكولونيل.

- أنا قلت ذلك! آه، نعم.

- أصحيح ذلك إذن؟

- بالطبع صحيح، ولكن لا يجب أن أذكر الأسماء، ففي مقدورك أن تعرفهم بسهولة.

- هذا مستحيل، أنا لا أعرف سوى ليتيسيا، فهي الوحيدة التي تستفيد من موته بصفتها وريثته، ولكن من غير المعقول أن تُقدِم ليتيسيا على ارتكاب مثل هذه الجريمة البشعة.

فتحولت الآنسة ماربل إلى غريزلدا وسألتها: وأنت أيتها العزيزة، ماذا تقولين؟

- أنا لا أظن أن لورنس ارتكب الجريمة، وكذلك آن، أمّا ليتيسيا فهي فوق الشبهات بصفة قاطعة، ولكن لا بدّ من وجود دليل ما يرشد إلى الفاعل.

فقالت الآنسة ماربل: توجد تلك الرسالة، ولكنها لا تفيدنا بشيء.

فقلت: على العكس، لقد حددَت لنا الوقت الذي حدثَت فيه الوفاة.

فهزّت الآنسة ماربل رأسها وقالت: ما حيّرني منذ البداية هو مضمون هذه الرسالة.

- مضمونها واضح، فقد ذكر فيها الكولونيل أنه لا يستطيع الانتظار أكثر ممّا انتظر.

- بل قد تضمّنَت الرسالة شيئاً آخر، تضمّنَت الكلمات

«الساعة السادسة وعشرون دقيقة». لقد ذكرَت له خادمتك بأنك لن تعود قبل الساعة السادسة والنصف، فقرر أن ينتظرك، ولكنه في الساعة السادسة وعشرين دقيقة جلس أمام مكتبك ليكتب لك أنه لا يستطيع الانتظار أكثر ممّا انتظر.

فنظرتُ إليها بإعجاب وقد أذهلني ذكاؤها. لقد اكتشفَت أمراً قد غاب عنّا جميعاً، فقد وصل الكولونيل إلى البيت في الساعة السادسة والربع أو نحو ذلك، وتحدّث إلى الخادمة ثم اتجه إلى غرفة المكتب وفي نيّته أن ينتظر عودتي، أي أن ينتظر حتى الساعة السادسة والنصف على الأقل. قلتُ لها: مضمون الرسالة يكون مفهوماً ومعقولاً لو لم يذكر بها الوقت.

- تماماً.

واستعرضتُ الرسالة في ذاكرتي، كانت عباراتها مكتوبة بخط غير واضح، أمّا عبارة "السادسة وعشرون دقيقة" فكانت واضحة تماماً ومكتوبة بخط يختلف عن الخط الذي كتبت به الرسالة فقلتُ: لنفترض إذن أن الوقت لم يُذكر في الرسالة، وأن الكولونيل مكث بالمكتب حتى السادسة والنصف ثم فرغ صبره فجلس إلى المكتب ليكتب أنه لا يستطيع الانتظار أكثر ممّا انتظر، وبينما كان يفعل ذلك دخل أحدهم من باب الشرفة...

- أو من باب الغرفة.

- لو أن باب الغرفة فُتح لسمعه وحوّل رأسه ليرى من القادم.

فقالت الآنسة ماربل: أرجو أن تتذكرا أن بروثيرو كان شبه أصمّ.

- هذا صحيح، لو أن الباب فُتح لما سمعه، ولكن مهما تكن طريقة دخول القاتل فلا بدّ أنه تسلل خلف الكولونيل وقتله، ثم كتب في الرسالة عبارة «الساعة السادسة وعشرون دقيقة» وحرّك عقربَي الساعة بحيث يشيران إلى الساعة السادسة واثنتين وعشرين دقيقة، وهي فكرة شيطانية عمد إليها للتضليل لأنه يستطيع أن يُثبت أنه في تلك الساعة والدقيقة كان في مكان آخر.

فسألت غريزلدا: إذن كيف يمكن تحديد وقت حدوث الجريمة؟

- لقد قال الطبيب هايدوك إنها ارتُكبت في وقت لا يتجاوز الساعة السادسة والنصف، ولكن دعينا نحدد الساعة السادسة وخمس وثلاثين دقيقة كوقت أقصى، على فرض أن بروثيرو انتظر خمس دقائق بعد الموعد لعودتي قبل أن يفرغ صبره.

فقالت الآنسة ماربل: وماذا عن ذلك الطلق الناريّ الذي سمعتُه أنا نحو الساعة السادسة وثلاثين دقيقة؟ أنا أتذكّر الآن أنه يختلف عن الطلقات التي تعودتُ سماعها من الغابة.

- هل كان أقوى منها؟

- لا، ولكنه كان يختلف على نحو ما لا أستطيع تحديده.

عجزها عن تحديد مصدر الطلق الناري ونوعه لم ينقص من احترامي لها، وما لبثَت أن نهضت قائلة إنها يجب أن تعود إلى بيتها، وإنها إنما جاءت لأنها لم تستطِع مقاومة إغراء الثرثرة مع غريزلدا، فرافقتُها إلى الباب الخلفي، ولما عدتُ وجدت غريزلدا مستغرَقة في التفكير فسألتُها: هل يحيّرك موضوع تلك الرسالة حتى الآن؟

- لا، ليس هذا ما يحيّرني.

وهزّت كتفَيها واستطردت تقول بعد لحظة: أنا أعتقد أنه يوجد شخص يحقد على آن حقداً شديداً.

- يحقد عليها؟

- نعم، ألم تدرك ذلك؟ لا يوجد ضدّ لورنس أيّ دليل سوى اعترافه بأنه جاء إلى هنا، ولولا ذلك ما فكّر أحد في اتهامه، أما آن فأمرها يختلف. هَبْ أن شخصاً علم أنها كانت هنا في الساعة السادسة وعشرين دقيقة، وهو الوقت الذي ذُكر في الرسالة وحدده عقربا الساعة المحطَّمة، أنا أعتقد أن من كتب الوقت في الرسالة وعبث بعقربَي الساعة فعل ذلك لغرض واحد، وهو توريط آن واتهامها بارتكاب الجريمة، ولولا شهادة الآنسة ماربل بأنها لم تكن تحمل مسدساً وأنها اتجهَت إلى الحظيرة لَدمّرها الاتهام. يوجد عدواً لها يمقتها أشدّ المقت يا ليونارد.

* * *

الفصل الثاني عشر

عندما وصل لورنس إلى الحظيرة أرسل ملشيت في طلبي، فوجدت لورنس كالح الوجه بادي القلق، وكان ملشيت يعامله برفق ومودّة حيث قال له: لقد استقدمناك إلى هنا لكي نلقي عليك بعض الأسئلة.

فمرّت على شفتَي لورنس ابتسامة باهتة وقال ساخراً: بل قل إنكم استقدمتموني لإعادة تمثيل الجريمة، هذا هو الأسلوب الفرنسي في تحقيق الجرائم.

- أصغ إليّ يا بنَيّ، ليس من الضروري أن تحدّثنا بهذه اللهجة لأن كل شيء سيكون على ما يرام. هل تعلم أن شخصاً آخر اعترف بالجريمة التي تزعم أنك ارتكبتَها؟

وكان لهذه الكلمات وقعها الواضح عليه إذ قال بلسان متلعثم: هل قلتَ شخصاً آخر؟ من؟ من هو؟

فقال ملشيت وهو يتفرّس في وجهه: السيدة بروثيرو.

- مستحيل، إنها لم ترتكب تلك الجريمة، فلم يكن في استطاعتها أن ترتكبها.

- على كل حال نحن لم نصدّق قصّتها، كما لم نصدّق

قصتك، والواقع أن الطبيب هايدوك أكد أن الجريمة لم تُرتكب في الوقت الذي ذكرتَه.

- هل أكد الطبيب هايدوك ذلك؟

- نعم، وسواء أرضيتَ أم لم ترضَ فأنت بريء ولا شأن لك بالجريمة، وكل ما نريده منك الآن هو أن تساعدنا بذكر الحقائق كلها.

فتردّد لورنس لحظة ثم قال: هل تقسم لي أنك لم تخدعني وأنك لا تشكّ في السيدة بروثيرو حقاً؟

- أقسم لك.

فتنهد لورنس ثم قال: الواقع أنني تصرفت بجنون، وما كان ينبغي أن أرتاب لحظة واحدة أنها ارتكبت الجريمة.

فقال ملشيت: ألا تستطيع أن تكون أكثر وضوحاً؟

- الأمر بسيط، فقد قابلتُ السيدة بروثيرو بعد ظهر...

وصمت فقال ملشيت: نحن نعرف كل ذلك. هل ظننتَ أن العلاقات العاطفية بينك وبينها ستظلّ سراً؟ إن الجميع يتحدثون عنها.

- إذن سأذكر لك الحقائق كلها يا كولونيل. لقد وعدتُ القسّ بالرحيل عن القرية نهائياً، وقابلتُ السيدة بروثيرو في الساعة السادسة والربع من ذلك المساء وأخبرتها بما قررتُه، فقالت إن ذلك هو الحلّ الوحيد الملائم، ثم ودّع كل منّا الآخر وغادرنا الحظيرة، وانضمّ إلينا الدكتور ستون فبذلَت آن قصارى جهدها لكي تبدو هادئة، أما أنا فلم أستطِع، ورافقت الدكتور ستون إلى

الفندق حيث تناولنا شراباً، ثم قررت العودة إلى بيتي، ولكني ما كدت أصل إلى ركن الشارع حتى عدلتُ عن فكرتي وخطر لي أن أذهب لمقابلة القس، فقد كنتُ بحاجة إلى إنسان أتحدث إليه عمّا قررته، وعندما وصلت إلى بيت السيد كليمنت قالت لي الخادمة إنه خرج وسيعود بعد قليل، وإن الكولونيل بروثيرو ينتظره في المكتب، فلم أشأ الرحيل على الفور حتى لا يُظنّ أنني أتجنب لقاء الكولونيل، ولذلك قلتُ للخادمة إنني سأنتظره، واتجهتُ إلى قاعة المكتب ودخلت.

وصمت فقال ملشيت: وماذا حدث بعد ذلك؟

- كان بروثيرو جالساً أمام المكتب في الوضع الذي رأيتموه، فاقتربتُ منه ولمسته فوجدته ميّتاً، ووقع بصري على مسدس مُلقى على الأرض على مقربة منه فتناولتُه لأُفاجأ أنه مسدسي! كان هذا الاكتشاف صدمة لي، وخطر لي على الفور أن آن ربما أخذته بطريقة ما لتنتحر به إذا تعقّدَت الأمور ووجدَت أن حياتها أصبحَت لا تُطاق، وأنها احتفظَت به معها في ذلك اليوم، ثم جاءت به إلى هنا بعد لقائنا الأخير وافتراقنا، وقد كان من الجنون حقاً أن أتصور شيئاً مخيفاً كهذا، ولكن ذلك ما خطر لي في تلك اللحظة.

كان انفعاله شديداً، فصمت هنيهة يلتقط فيها أنفاسه ثم عاد يقول: وهكذا وضعتُ المسدس في جيبي وانطلقت إلى خارج البيت، فقابلت القس بالباب، وكان من الطبيعي أن يحدّثني عن بروثيرو، فشعرتُ برغبة لا تقاوَم في أن أنفجر ضاحكاً؛ فقد كان القس هادئاً وطبيعياً في حين كنت أنا نهباً لاضطراب وفزع لا حدّ لهما. لست أذكر ما قلتُ له تماماً، ولكنني أذكر أن سحنته تغيّرَت، وانطلقتُ أسير على غير هدى وأنا في حالة نفسية

لا تُطاق. كنتُ أرى أنه إذا كانت آن قد ارتكبَت هذه الجريمة فأنا المسؤول أدبياً على الأقل، فكان منّي أن ذهبت إلى مركز الشرطة وسلّمتُ نفسي.

وانتهى لورنس من اعترافه، وساد صمت عميق قطعه ملشيت أخيراً بقوله: أودّ أن ألقي عليك سؤالاً أو سؤالين، هل حرّكت الجثة وغيّرت وضعها؟

- لا، كان واضحاً أن الرجل قد مات.

- هل رأيتَ على المكتب ورقة تكاد تكون مختفية؟

- لا.

- ألم تعبث بالساعة؟

- لا، أذكر أنني لاحظت وجودها على المكتب، ولكنني لم أمسسها.

- ومسدسك، متى رأيتَه آخر مرة؟

ففكّر لورنس قليلاً وأجاب: لا أستطيع أن أذكر بالتحديد.

- أين كنتَ تحتفظ به؟

- بين عدد من التحف على رفّ خزانة الكتب بقاعة الاستقبال.

- أكنت تتركه مهمَلاً هكذا؟

- الواقع أنني لم أفكّر فيه ولم أُعِره اهتماماً.

- هل كان في وسع أيّ زائر أن يراه؟

- نعم.

- ألا تذكر متى رأيتَه آخر مرة؟

فقطّب لورنس حاجبَيه، وكان من الواضح أنه يحاول أن يتذكر حتى قال أخيراً: أكاد أكون واثقاً أنه كان في مكانه أمس الأول، أو اليوم الذي سبقه، فقد زحزحتُه من مكانه حينما كنتُ أبحث عن غليون قديم.

- من دخل قاعة الاستقبال خلال الأيام الأخيرة؟

- كثيرون، فبيتي لا يكاد يخلو من الزائرين، وقد أقمتُ حفل شاي أمس الأول حضرَته ليتيسيا، كما حضره دنيس وأصدقاؤه.

- مَن الذي يدير شؤون بيتك؟

- سيدة عجوز هي الأمّ آرثر.

- هل تظنّ أنها تستطيع أن تذكر شيئاً عن المسدس؟

- لا أعلم، ربما، ولكنني أعتقد أنها تهتم كثيراً بإزالة الغبار والأتربة.

- هل معنى ذلك أنه كان بوسع أي إنسان أن يأخذ المسدس؟

- ذلك رأيي.

وفي تلك اللحظة دخل الطبيب هايدوك والسيدة بروثيرو، وقد دُهشت آن حينما رأت لورنس، أما هو فتقدّم خطوة وهو يقول: معذرة يا آن، فما كان ينبغي أن أتصور شيئاً مخيفاً كهذا.

- أنا...

وتردّدَت قليلاً ثم نظرت إلى ملشيت بتوسّل ثم قالت: هل ما ذكره لي الطبيب هايدوك صحيح؟

- عن براءة السيد ريدنغ؟ نعم، صحيح. والآن لنتحدث عن القصة التي رويتها لنا. تكلمي يا سيدة بروثيرو.

فبدت عليها دلائل الارتباك والحيرة فقال ملشيت مشجّعاً: ما يهمّنا هو معرفة الحقيقة يا سيدة بروثيرو، كل الحقيقة.

- سأقولها لك، أظن أنكم تعلمون الآن أن...

- نعم.

- حسناً، لقد كنتُ على موعد مع لورنس في الحظيرة في الساعة السادسة والربع، وكنت قد ذهبتُ مع زوجي بالسيارة إلى القرية لأتسوّق، ثم تركني هناك قائلاً إنه على موعد مع القس، ولم يكن بوسعي الاتصال بلورنس لأنذره، وقد أزعجني أن أقابل لورنس في الحظيرة في حين كان زوجي داخل البيت.

بدت على حمرة الخجل واستطردت قائلة: فكّرتُ في أن زوجي قد لا يمكث طويلاً ببيت القس فأردت أن أتحقق، فسرتُ في الممرّ الضيّق ووصلت إلى الحديقة، وكنت أظن أن أحداً لم يرَني، ولكني فوجئت بالآنسة ماربل تستوقفني، فقلت لها إنني جئت للبحث عن زوجي. كان لا بدّ أن أقول لها أيّ شيء لكي أبرّر وجودي هناك، ولكنْ يبدو أنها لم تقتنع تماماً؛ فقد رأيتُ على وجهها دلائل الريبة، ومن ثَم سِرت باتجاه غرفة المكتب، وكنت أمشي بخفّة على أمل أن أسمع أصوات حديث في الداخل، ولكنني

دُهشت حين لم أسمع شيئاً، ونظرت إلى داخل الغرفة فوجدتها خالية وليس بها أحد، فأسرعتُ إلى الحظيرة لأقابل لورنس.

- أتقولين إن الغرفة كانت خالية؟

- نعم، لم يكن زوجي بها.

- هذا عجيب!

وهنا تدخّل لاندرومي قائلاً: لعلك تريدين أن تقولي إنك لم تريه؟

- نعم، لم أرَه.

فهمس لاندرومي كلاماً في أذن ملشيت الذي هزّ رأسه موافقاً وقال: هل لك أن تصوّري لنا ما فعلتِه يا سيدة بروثيرو؟

- بكل ارتياح.

ثم نهضت واقفة، وفتح لاندرومي باب الشرفة فخرجَت منه وانحرفت نحو اليسار في حين طلب منّي أن أجلس أمام المكتب، ففعلتُ على كره منّي، وبعد قليل سمعتُ وقع خطوات تقترب في الشرفة، ثم تتوقف، ثم تبتعد، وحينئذ طلب منّي ملشيت أن أعود إلى مكاني فأطعتُ، وبعد قليل دخلت السيدة بروثيرو من باب الشرفة فسألها ملشيت: هل هذا ما فعلتِه في ذلك المساء؟

- نعم.

فقال لها المفتّش: والآن، هل في استطاعتكِ أن ترشدينا إلى المكان الذي كان يجلس فيه القس عندما نظرت إلى الداخل في التوّ واللحظة؟

- القس؟ لا أستطيع أن أجيبك لأنني لم أرَه.

فهزّ لاندرومي رأسه وقال: هذا هو السبب في أنك لم تري زوجك في ذلك المساء، فقد كان جالساً في الركن أمام المكتب.

- يا إلهي!

وارتسمت في عينيها نظرة ذعر في حين استأنف المفتّش الاستجواب فسألها: هل كنت تعلمين أن السيد ريدنغ يمتلك مسدساً؟

- نعم، فقد قال لي ذلك في أحد الأيام.

- هل وقع المسدس في يدك في أيّ وقت؟

فهزّت رأسها نفياً وقالت: لستُ على يقين، ولكن أظنّ أنني رأيته فوق أحد الرفوف.

- متى ذهبت آخر مرة إلى بيت السيد ريدنغ؟

- منذ نحو ثلاثة أسابيع، وقد ذهبتُ إليه مع زوجي لتناول الشاي.

- ألم تذهبي إليه بعد ذلك؟

- نعم، لم أفعل؛ أنا لم أتعود زيارته في بيته حتى لا يتقوّل الناس علينا.

فقال ملشيت: اسمحي لي أن ألقي عليكِ سؤالاً آخر، أين تعودت مقابلة السيد ريدنغ؟

فاحمرّ وجهها خجلاً مرة أخرى ثم أجابت: كان يأتي إلى البيت ليرسم صورة ليتيسيا، وكنّا نتقابل في الغابة أحياناً.

فهزّ ملشيت رأسه وصاحت آن بصوت متهدج: ألا يكفي هذا؟ لقد شقّ عليّ أن أقول كل هذا، ولكنني أقسم إنه لم يكن بيني وبينه ما أخجل من ذكره. لقد كنّا صديقَين، ثم تحوّلَت الصداقة إلى حب على الرغم منّا.

قالت ذلك ثم نظرت إلى الطبيب هايدوك مستنجدة، وكان الطبيب رجلاً رقيق القلب مرهَف الحس فقال: أظن أن السيدة بروثيرو قالت ما فيه الكفاية.

فأومأ ملشيت برأسه موافقاً ثم قال: ليست عندي أسئلة أخرى يا سيدتي، وشكراً لك على إجاباتك الصريحة.

- هل أستطيع الانصراف؟

وهنا تحول هايدوك إليّ وقال: هل زوجتك في البيت يا كليمنت؟ لا شك أن السيدة بروثيرو سيسرّها أن تراها.

فأجبتُه: نعم، غريزلدا هنا، وستجدها في قاعة الاستقبال.

ثم غادَرت آن الغرفة مع لورنس والطبيب هايدوك، في حين كان لاندرومي يدقّق النظر في الرسالة التي كتبها بروثيرو قبل مصرعه، فانتهزتُ الفرصة لإطلاعه على وجهة نظر الآنسة ماربل، وأصغى إليّ المفتّش باهتمام كبير ثم قال: يخيَّل إليّ أن تلك العجوز على حقّ. انظر، ألم ترَ أن الخط الذي كتبَت به الرسالة يختلف عن الخطّ الذي كتب به التوقيت؟ فالقلم يختلف والحبر يختلف.

فقال ملشيت: هذا صحيح، وبالمناسبة، هل فحصتَ الرسالة

لكشف ما عليها من البصمات؟

- لا توجد أية بصمة على هذه الرسالة، أمّا المسدس فليسَت عليه سوى بصمة واحدة، وهي بصمة لورنس ريدنغ، وربما كانت على المسدس بصمات أخرى قبل أن يضعه في جيبه، ولكن لا يمكن تبيّنها الآن.

فقال ملشيت: كان مركز السيدة بروثيرو في السابق سيئاً، وكانت الأدلة ضدّها أقوى منها ضدّ لورنس، ولم ينقذها سوى شهادة الآنسة ماربل بأنها لم تكن تحمل مسدساً، غير أن أعجب ما في الأمر أن أحداً لم يسمع صوت الطلق الناري. مستحيل أن لا يكون أحد قد سمعه! أنا أقترح عليك أن تعيد استجواب الخادمة يا لاندرومي.

فقلتُ محدّثاً المفتّش: الرأي عندي أن لا تسألها عمّا إذا كانت قد سمعَت طلقاً نارياً داخل المنزل لأنها ستنكر على الفور، ولكن الأفضل أن تسألها إن كانت سمعَت طلقاً صادراً من ناحية الغابة.

فأجاب لاندرومي بخشونة: أنا أعرف كيف اسأل الشهود.

ثم غادر الغرفة في حين قال ملشيت: لقد زعمَت الآنسة ماربل أنها سمعَت صوت الطلق الناري، ولكن في وقت لاحق للجريمة، ونحن يهمّنا جدّاً تحديد الوقت بدقّة، فقد يكون ما سمعَته الآنسة ماربل طلق بندقية صدر من مكان آخر.

- ربما.

نهض ملشيت واقفاً وقال وهو يذرع أرض الغرفة: يخيَّل إليّ أن القضية أصعب وأعقد ممّا تصورناها في البداية؛ فلدينا الساعة

والرسالة والمسدس، وكلها ألغاز تحتاج إلى تفسير.

ثم قال: ولكننا سنمضي في القضية إلى النهاية ولن نستعين برجال سكوتلانديارد، أضِف إلى ذلك أن لاندرومي رجل مقتدر، وقد نجح في كثير من القضايا، ولكن نجاحه في هذه القضية سيكون أعظم انتصار أحرزه في حياته العملية.

- أنا أرجو له النجاح.

- من يقطن البيت المجاور؟

- البيت الذي في نهاية الشارع؟ تقطنه السيدة برايس ريدلي.

- عندما يفرغ لاندرومي من استجواب خادمتك سنذهب لاستجواب تلك السيدة لعلها تكون قد سمعَت شيئاً. أظنها ليست صماء، أليس كذلك؟

- إذا وضعنا في عين الاعتبار الفضائح التي قالت إنها سمعتها فلا بدّ أن تكون لها أذن مرهَفة.

- إذن فهي الشاهدة التي نحتاج إليها. ها هو ذا لاندرومي.

ودخل المفتّش وهو يجفّف العرق المتصبّب على جبينه وبدا أن المعركة بينه وبين ماري كانت عنيفة، ثم قال: لقد ظفرتُ بها أخيراً واستدرجتُها إلى الاعتراف بأنها سمعت الطلق الناري في نحو الساعة السادسة والنصف، فقد تذكرَت أن الساعة دقّت معلنة السادسة والنصف عندما كانت تتحدث مع بائع السمك، وأنها سمعَت الطلق الناري قبل ذلك بلحظات.

- هذا حسن.

فقال لاندرومي وفي صوته رنة أسف: الآن يغلب على ظنّي أن السيدة بروثيرو لا علاقة لها بالجريمة، أولاً لأنه لم يكن لديها متسَع من الوقت، وثانياً لأن النساء ينفرن عادة من استخدام الأسلحة، وسلاحهنّ المفضَّل هو السم. لا، هي لم ترتكب الجريمة ولم تشترك فيها، وهذا أمر يؤسَف له.

وهنا أعلن ملشيت عن رغبته في زيارة السيدة برايس ريدلي فوافق المفتّش. وكانت القضية قد بدأت تثير اهتمامي وفضولي فطلبت منهما أن يسمحا لي بمرافقتهما في هذه الزيارة، فوافقا.

* * *

فتحت الباب خادمة شابّة جميلة فسألها ملشيت: هل السيدة برايس ريدلي بالبيت؟

- لا يا سيدي.

وصمتَت قليلاً ثم استطردت قائلة: لقد ذهبَت لتوّها إلى مركز الشرطة.

فقال ملشيت ونحن نعود أدراجنا: كلّ رجائي أن لا تكون قد ذهبَت إلى مركز الشرطة للاعتراف بأنها هي التي قتلَت السيد بروثيرو.

* * *

الفصل الثالث عشر

أدهشني أن تقفز تلك الفكرة إلى خاطر ملشيت، ولكنني رجّحت أن تكون السيدة ريدلي قد ذهبَت إلى مركز الشرطة للإدلاء بمعلومات خاصّة بالقضية. وعندما وصلنا إلى مركز الشرطة وجدنا السيدة ريدلي تتحدث بحدّة إلى أحد رجال الشرطة وعلى وجهها دلائل الانفعال، فاقترب منها ملشيت وقال وهو يرفع قبعته محيّياً: أظنك السيدة ريدلي، أليس كذلك؟

فقلتُ أحدّثها: اسمحي لي أن أقدم لك الكولونيل ملشيت مدير الشرطة.

فرمقَتني بنظرة صارمة وابتسمت للكولونيل الذي قال: لقد ذهبنا لزيارتك فقيل لنا إنك هنا.

- حقاً؟ في الواقع يسرّني أن تبدأ بالاهتمام بما يقع هنا من أحداث تبعث على الخجل.

فبُهتنا جميعاً؛ فلم يكن في جريمة القتل ما يبعث على خجل أحد، فقال ملشيت: هل لديكِ ما يلقي ضوءاً على المأساة؟

- ذلك من صميم عملكم، وإلاّ فلماذا تتقاضون مرتبات من الضرائب التي ندفعها؟

- أؤكّد لكِ يا سيدتي أننا نبذل قصارى جهدنا.

فقالت وهي تشير إلى رجل الشرطة: إذن لماذا رفض هذا الرجل أن يصغي إليّ؟

فقال رجل الشرطة: يبدو ممّا فهمتُه من كلام هذه السيدة أن بعضهم اتصل بها هاتفياً وقال لها كلاماً بذيئاً.

فقال ملشيت: آه، فهمت الآن. إذن فقد جئت لتقديم شكوى، أليس كذلك؟

فصاحت السيدة ريدلي: مثل هذه الأمور لا يجب أن تحدث. يطلبك بعضهم بالهاتف ثم يهينك وأنت في عقر دارك! لقد ضاعت الأخلاق منذ انتهاء الحرب حقاً.

- ذلك رأيي أيضاً يا سيدتي، ولكن ماذا حدث؟

- طلبني بعضهم بالهاتف.

- متى؟

- مساء أمس، نحو الساعة السادسة والنصف، وعندما تناولت السمّاعة إذا بأحدهم يسبّني ويهدّدني.

- ماذا قال بالضبط؟

فاحمرّ وجهها ثم أجابت: قال كلاماً أخجل من ذكره.

- هل تلفّظ بعبارات مهينة؟

- قال إنني امرأة سوء أعيش على الثرثرة والنميمة، وسوف سيطلب من سكوتلانديارد أن تطاردني، ثم قهقه ضاحكاً.

فعضّ ملشيت شفته ليخفي ابتسامة وقال: وقد استولى عليك الرعب بطبيعة الحال.

- الواقع أنني ذُعرت، ولكنني استجمعت قواي وسألته من هو، فأجاب الصوت: "أنا المنتقم"، ثم ضحك مرة أخرى ووضع السماعة، فاتصلت بمكتب الهواتف لأسأل عن رقم الهاتف الذي صدرت منه المكالمة، ولكنني لم أصِل إلى نتيجة.

- هل كان صوت رجل أم امرأة؟

- لا أعلم، كان بين بين، وكان واضحاً أن المتكلم يحاول تغيير صوته، وقد كدتُ أُصاب بانهيار عصبي إلى حدّ أنني ما إن سمعتُ صوت طلق ناري صدر من الغابة حتى وثبتُ من مكاني، ولك أن تتخيّل كيف قضيت ليلة أمس.

فقال لاندرومي باهتمام: تقولين إنك سمعت صوت طلق ناري؟

- لقد خُيّل إليّ وأنا في تلك الحالة أنها طلقة مدفع، فصرختُ وسقطتُ على الأريكة.

- هذا مزعج حقاً. كم كانت الساعة وقتئذ؟ يجب أن نعرف الوقت حتى يتسنى لنا تعقّب المكالمة الهاتفية.

- كانت نحو الساعة السادسة والنصف.

- الآن بوسعك أن تطمئنّي؛ فسنبحث عن المتكلم ولا بدّ أن نجده.

وبعد أن انصرفَت السيدة قال لاندرومي: الآن لدينا ثلاثة شهود سمعوا الطلق الناري، وعلينا أن نعرف من أطلقه. لقد

ضلّلَنا السيد ريدنغ باعترافه الزائف، ويجب علينا أن نبدأ من البداية الآن، وأول ما يجب عمله هو البحث عن تلك المكالمة الهاتفية الغريبة.

- الخاصّة بالسيدة برايس ريدلي، أليس كذلك؟

- سنبحث عن هذه أيضاً وإلاّ ضايقتنا تلك السيدة بالأسئلة. لكنني كنت أعني -في المقام الأول- تلك المكالمة الغريبة التي تلقاها القس.

فقال ملشيت: أجل؛ فذلك هامّ جدّاً.

- وعلينا بعد ذلك أن نعرف كيف قضى كل إنسان في القصر القديم، بل وفي القرية كلها، وقته بين الساعتين السادسة والسابعة أمس.

فهتفتُ قائلاً: سيتطلب ذلك مجهوداً كبيراً أيها المفتّش.

- أنا مولَع بالمهامّ الشاقّة.

ثم استطرد قائلاً: و الآن سنبدأ بسؤالك أنت أيها القس.

فأجبتُ: بكل سرور، لقد تلقيتُ المكالمة الهاتفية نحو الساعة الخامسة والنصف.

- هل كان المتكلم رجلاً أم امرأة؟

- امرأة، وقد ظننت أنها السيدة أبوت.

- هل كان الصوت صوتها؟

- لا، الواقع أنني لم أهتمّ وقتئذ بمعرفة المتكلم.

- وهل ذهبتَ إلى مزرعة أبوت على الفور؟

- نعم.

- سيراً على قدميك أم أن لديك دراجة؟

- بل سيراً على قدميّ.

- كم تبلغ المسافة إلى المزرعة؟

- نحو ثلاثة كيلومترات من أيّ طريق.

- ولكن أقصر طريق هو الطريق الذي يمرّ بالقصر القديم، قصر الكولونيل بروثيرو.

- أجل، هو أقصر الطرق ولكنه ليس أفضلها، وقد سلكتُ في الذهاب والعودة الممر الضيّق عبر الحقول.

- تعني الممر الذي ينتهي عند السور الخلفي لحديقتك؟

- نعم.

- وأين كانت زوجتك في ذلك الوقت؟

- كانت في لندن، وقد عادت في قطار الساعة السادسة وخمسين دقيقة.

- يكفيني هذا الآن، وقد استجوبتُ خادمتك، وبذلك تكون مهمتي هنا قد انتهت. والآن سأذهب لأستجوب أهل القصر القديم، ولا بدّ لي من التحدث إلى السيدة لترانغ كذلك؛ فقد ذهبَت لمقابلة بروثيرو قبل مصرعه.

وكان موعد الغداء قد حان فدعوتُ ملشيت لتناول الطعام معنا، ولكنه اعتذر ومضى مع المفتّش.

* * *

الفصل الرابع عشر

كنتُ في طريقي إلى البيت لأتناول الغداء عندما مرّ بي الطبيب هايدوك بسيارته وقال وهو يمضي في طريقه: لقد أوصلتُ السيدة بروثيرو إلى بيتها.

وحين دنوتُ من بيته وجدته ينتظرني بالباب، ودعاني إلى الدخول فدخلت، ثم قال وهو يمضي بي إلى قاعة العمليات: هذه قضية عجيبة، أليس كذلك؟

ثم خلع قبعته وتهالك على مقعد قديم من الجلد، وكانت تبدو عليه دلائل التعب والحيرة، فقصصت عليه كيف توصّلنا إلى تحديد وقت إطلاق الرصاصة، فأصغى إليّ وهو شارد الفكر ثم قال: إذن فلا صلة لآن بروثيرو بالجريمة. يسعدني أن أعلم أنها بريئة وأن لورنس بريء كذلك، فأنا أحبهما.

وكنتُ واثقاً من أنه يحبهما، ولكنه كان متجهماً وحزيناً حتى كدت أن أسأله لماذا ضايقه إطلاق سراحهما، وأخيراً نهض واقفاً وقال: أردتُ أن أحدثك عن هاوس، فقد أزعجَته هذه الجريمة وأقلقَته.

- هل هو مريض؟

- ليس مريضاً بالمعنى المفهوم، ولكن هل تعلم أنه كان قد أصيب في وقت ما بالمرض المعروف باسم مرض النوم؟

- لا، لا علم لي بذلك، كما أنه لم يحدّثني عنه، ولكن متى أُصيب بهذا المرض؟

- منذ نحو عام، وقد شفي منه بقدر ما يمكن أن يكون الشفاء، ولكنه مرض فريد يؤثّر تأثيراً عجيباً على معنويات المريض، وقد يغير أخلاقه وطباعه تغييراً تامّاً.

وصمت لحظة ثم قال: نحن الآن ننظر بهلع إلى العصر الذي كانوا يحرقون فيه المتهَمين بالسحر والشعوذة، ولكنني واثق تماماً من أن يوماً سوف يأتي يرتجف الناس فيه هلعاً عندما يفكّرون في الأسباب التي من أجلها يُشنق بعض المجرمين في زماننا هذا.

- يخيَّل إليّ أنك لست من أنصار حكم الإعدام.

- ليس هذا ما أعنيه.

وصمت مرة أخرى ثم قال ببطء: هل تعلم أيها القس العزيز أنني أفضّل رسالتي في الحياة على رسالتك؟

- لماذا؟

- لأن عملك هو التمييز بين الخير والشرّ، في حين أنني لست واثقاً تماماً من وجودهما، وأعتقد أن الناس كثيراً ما يخلطون بين المريض والمجرم، فهم لا يشنقون رجلاً مصاباً بالسل الرئوي.

- طبعاً، لأن مثل هذا الرجل لا يضرّ المجتمع.

- توجد وجهة نظر تقول إنه ضارّ بالمجتمع لأنه ينشر

العدوى، ولكن دعنا ننظر إلى رجل آخر يزعم أنه إمبراطور الصين مثلاً. أنت لا تستطيع أن تعتبره مجرماً، أليس كذلك؟ ولكنني أنظر إلى المجتمع وإلى ضرورة حمايته مثلك، ولذلك أقول: اعزلوا أمثال هؤلاء عن الناس واسجنوهم، ولكن لا تصفوا السجن والعزل بأنه عقوبة، ولا تجلبوا بذلك العار على العائلات البريئة.

فنظرتُ إليه بفضول وقلت: هذه أول مرة أسمعك فيها تتحدث على هذا النحو.

- ذلك لأنني لم أعتَد التحدّث عن نظرياتي على مسمع من جميع الناس، ولكنك رجل ذكي ومثقَّف، وهو ما لا أستطيع أن أصف به جميع رجال الكنيسة.

فقلت له: أخبرني يا هايدوك، ماذا تفعل إذا ارتبتَ أن شخصاً بعينه ارتكب جريمة ما؟ هل تشي به، أم تحاول حمايته؟

وكان السؤال مفاجأة له فرمقني بغضب وقال: ما الذي حملك على إلقاء هذا السؤال يا كليمنت؟ ماذا يدور في رأسك؟

- لا شيء سوى أننا نتحدث كثيراً عن الجريمة في تلك الأيام، فأردت أن أعرف كيف تتصرف إذا أتاحت لك المصادفات فرصة لمعرفة الحقيقة.

فانطفأ غضبه على الفور وشرد ببصره في الفضاء، ثم قال بعد قليل: إذا عرفتُ الحقيقة فلن أتردد في القيام بواجبي.

- وما الواجب من وجهة نظرك؟

- هذه مسألة تختلف فيها الآراء يا كليمنت.

- صدقتَ.

ثم نظرت إلى ساعتي وقلت: آن لي أن أنصرف، فقد تأخرتُ نصف ساعة عن موعد الغداء.

* * *

عندما ذهبتُ إلى البيت وجدت زوجتي ودنيس حول المائدة، فسألاني عن أعمالي طَوال ساعات الصباح، واهتمّ دنيس بموضوع التهديد الهاتفي الذي تلقّته السيدة برايس ريدلي، وقد استُغرق في الضحك حين وصفتُ ثورتها وقال: إنها أسوأ الثرثارات جميعاً، وقد لقيَت جزاءها، ولكن يؤسفني أنه لم تخطر لي فكرة الاتصال بها هاتفياً وإلقاء الذعر في قلبها. ما قولك في أن نعطيها جرعة ثانية أيها العمّ ليونارد؟

فنهيتُه عن ذلك بشدة، وقالت زوجتي: هل قلت إن المفتّش سيبحث عمّن اتصل بك هاتفياً ودعاك للذهاب إلى مزرعة السيد أبوت؟

- نعم.

- إنه لن يعرفه.

- ولم لا؟ مكتب الهاتف يسجّل جميع الاتصالات الهاتفية.

- حقاً؟

وهنا دخلت ماري وقالت: السيد هاوس يرغب في مقابلتك، وقد ذهبتُ به إلى قاعة الاستقبال، وقد جاء رسول يحمل هذا

الخطاب، وهو ينتظر الردّ ولو شفهياً.

ففضضتُ الخطاب وقرأت فيه ما يلي: "عزيزي السيد كليمنت، أكون شاكرة إذا جئت لزيارتي في أول فرصة بعد ظهر اليوم، فأنا حائرة وأحتاج إلى نصيحتك. المخلصة ستيلا لترانغ".

فقلت لماري: قولي للرسول إنني سأذهب بعد نصف الساعة.

ثم نهضتُ واتجهتُ إلى قاعة الاستقبال.

* * *

الفصل الخامس عشر

وجدتُ هاوس في حالة أحزنتني كثيراً، فقد كان وجهه شاحباً ويداه ترتجفان، وكان ينبغي أن يلزم فراشه، وقد قلت له ذلك ولكنه أصرّ على أن صحّته جيدة ثم قال: أؤكّد لك أنني لم أكن بصحة أفضل منّي الآن طوال حياتي يا سيدي.

ولكن الحقيقة كانت عكس ذلك، ولكنني لم أجد ما أقوله، فقد كنتُ أُعجب للرجل الذي يقاوم المرض، ولكن هاوس جاوز في ذلك كل حدّ وقال: لقد جئتُ لأعبّر لك عن مدى انزعاجي لوقوع تلك الجريمة المروّعة في بيتك.

- الواقع أنها جريمة مزعجة حقاً.

- علمتُ أنهم أخلوا سبيل السيد ريدنغ، فهل هذا صحيح؟

- نعم، فقد كان اعترافه غير معقول.

- وهل الشرطة مطمئنة الآن إلى براءته؟

- كل الاطمئنان.

- هل لي أن أسألك لماذا؟ أعني هل ترتاب الشرطة في

شخص آخر؟

ولم أكن أعتقد أن هاوس ممّن يهتمّون بالجرائم، ولكني رددتُ اهتمامه إلى أن الجريمة حدثت في بيتي، وخُيّل إليّ أن فضوله إلى معرفة الحقيقة لا يقلّ عن فضول مخبري الصحف فأجبته: المفتّش لا يصارحني بأسرار عمله، ولكنني لا أعتقد أن الشرطة ترتاب في شخص بعينه.

- من تظنّه أقدم على ارتكاب تلك الجريمة؟

فهززت رأسي ولم أجِب فقال: أعلم أن بروثيرو لم يكن محبوباً، ولكن ليس إلى الحد الذي يدعو إلى قتله، ولا بدّ أن الدافع إلى الجريمة قويّ جداً.

- ذلك رأيي أيضاً.

- فمَن يمكن أن يكون لديه مثل ذلك الدافع؟

- رجل مثله لا بدّ أن يكون له أعداء، خصوصاً وقد عُرف بصرامة الأحكام التي كان يصدرها في المحكمة.

- أظنّ ذلك.

- ألا تذكر يا سيدي أنه قال لك بالأمس فقط إن المدعو آرثر قد هدّده؟

- بلى، أذكر، وقد كنتَ أنت على مقربة منّا عندما قال ذلك.

- هل أفضيتَ إلى رجال الشرطة بأمر ذلك التهديد؟

- لا.

- ولكنك ستفعل ذلك طبعاً.

فلم أُجب لأنني لا أحب إقحام شخص في دوّامة من المتاعب مع رجال الشرطة. صحيح أن آرثر سارق صيد محترف، ولكن أمثاله كثيرون وفي كل مكان، وإذا كان قد أطلق العنان للسانه في ثورة غضبه تحت وطأة الحكم الصارم الذي صدر ضده فليس معنى ذلك بالضرورة أنه أنفذ تهديده، فقلت لهاوس: أنت سمعتَ حديث بروثيرو أيضاً، فإذا وجدت أن من واجبك أن تُبلغ الشرطة فافعل.

- أقوالك أنت أثقل وزناً.

- ربما، ولكنني لا أحب أن أساعد في وضع حبل المشنقة حول عنق رجل بريء.

- ولكن ماذا لو أنه هو الذي قتل بروثيرو؟

- لا يوجد دليل.

- وتهديداته؟ أليست دليلاً؟

- الواقع أن بروثيرو هو الذي هدده بسوء المصير إذا مثُل أمامه مرة أخرى.

فصمت هاوس وخُيّل إليّ أنه لم يقتنع، فقد كان متوتر الأعصاب بصورة لم أعهدها فيه، ولكنني تذكّرت حديث الطبيب هايدوك عن مرضه والآثار التي تتخلف عنه.

وبعد انصرافه ذهبتُ توّاً إلى بيت السيدة لترانغ، وتذكّرتُ وأنا أدخل البيت أن تلك السيدة قد قابلت الكولونيل بروثيرو

في الليلة السابقة لمصرعه، فتساءلتُ: تُرى هل تعرف شيئاً يمكن أن يلقي ضوءاً على الجريمة؟

وعندما دخلتُ قاعة الاستقبال نهضَت السيدة لترانغ لاستقبالي، وأذهلني الجوّ الرائع الذي تحيط به هذه السيدة نفسها، فقد كانت ترتدي ثوباً أسود يُبرِز بياض بشرتها العجيب، وليس في وجهها الهادئ ما ينمّ عن حيويتها الدافقة سوى عينيها المتألقتين، ثم قالت وهي تمدّ إليّ يدها: كان جميلاً منك أن تحضر يا سيد كليمنت. كنت أريد أن أتحدث إليك عندما قابلتُك آخر مرة لكنني عدلت عن ذلك، وقد كنت مخطئة.

- لقد قلتُ لك عندئذ، وما زلتُ أقول، إنني في خدمتك.

- أجل، لقد قلت لي ذلك. تفضّل بالجلوس.

فأطعتها وجلستُ، وجلسَت هي على مقعد أمامي، وبعد تردد قصير بدأت تتكلم ببطء وكأنها تزن كل كلمة قبل أن تنطق بها فقالت: أنا أجد نفسي في مركز حرِج يا سيد كليمنت، وأودّ أن أعرف رأيك فيما ينبغي عليّ عمله. إن ما مضى قد مضى ولا سلطان لنا عليه. هل تفهمني؟

وقبل أن أجيب فُتح الباب فدخلت الخادمة وقالت بذعر: بالباب مفتّش شرطة يطلب مقابلتك يا سيدتي.

فلم يطرأ أيّ تغيير على وجه السيدة لترانغ، وكل ما فعلته أنها أغمضت عينيها ببطء ثم فتحتهما وقالت بصوت هادئ واضح: دعيه يدخل يا هيلدا.

فهممتُ بالانصراف، لكنها منعتني بحركة من يدها وقالت:

يهمّني أن تكون موجوداً، إذا لم يضايقك ذلك.

ودخل لاندرومي وهو يسير بخطى سريعة قائلاً: طاب يومك يا سيدتي.

- طاب يومك أيها المفتّش.

وعندئذ وقع بصره عليّ وقطّب حاجبَيه، ولم يكن لديّ شك في أنه لا يحبّني، فقالت السيدة لترانغ: أرجو أن لا يضايقك وجود القس.

- لا، لا يضايقني، ولكن من الأفضل...

فقاطعَته دون أن تلقي بالاً إلى اعتراضه: ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك أيها المفتّش؟

- أنا مكلَّف بالتحقيق في حادث مصرع الكولونيل بروثيرو.

- حسناً.

- ويهمّني أن أعرف كيف قضى كل شخص وقته بين السادسة والسابعة من مساء أمس، وهذا مجرَّد إجراء شكلي.

- هل تريد أن تعرف أين كنتُ أمس بين السادسة والسابعة؟

- نعم يا سيدتي، إذا تفضّلت.

- حسناً.

وفكرَت قليلاً ثم أجابت: كنت هنا في البيت.

فلمعَت عينا المفتّش ثم قال: هل تستطيع خادمتك أن تؤيّد ذلك؟

- لا، لأن أمس كان يوم إجازتها الأسبوعية.

- آه.

- يجب أن تقتنع بكلامي لسوء الحظ.

- أتزعمين أنكِ قضيت المساء كله في بيتك؟

- لقد سألتَني عن الوقت بين السادسة والسابعة مساء أيها المفتّش، أما قبل ذلك فقد خرجت للنزهة وعدت قُبَيل الساعة الخامسة.

- حسناً، ولكن ما قولك في أن إحدى السيدات، وهي بالتحديد السيدة هارتنل، أكّدَت أنها جاءت لزيارتكِ نحو الساعة السادسة ودقت الجرس فلم تتلقّ جواباً، فاضطُرّت إلى الانصراف؟ هل تعتقدين أنها لم تذكر الحقيقة؟

- على العكس.

- ماذا تعنين؟

- عندما تكون خادمتكَ في البيت فهي تستطيع أن تقول للزائر غير المرغوب فيه أنكَ لستَ موجوداً، أما إذا كنتَ وحدك في البيت فالشيء الوحيد الذي تستطيع أن تفعله هو أن تدع الزائر يدقّ الجرس.

فوجم المفتّش في حين استطردَت السيدة لترانغ قائلة: أولئك العجائز يضايقنني، وخصوصاً السيدة هارتنل. لقد دقّت الجرس ست مرات قبل أن تقرر الانصراف.

ونظرت إلى المفتّش وعلى شفتيها ابتسامة رائعة فقال

المفتّش: وإذا أكّد أحدهم أنه رآكِ...

فقاطعته: لا أحد يستطيع أن يؤكّد أنه رآني في الخارج لسبب بسيط، وهو أنني كنت بالبيت.

فأدنى المفتّش مقعده قليلاً وقال: علمتُ يا سيدتي أنك قمت بزيارة الكولونيل بروثيرو في بيته مساء اليوم الذي سبق مصرعه، فهل هذا صحيح؟

فأجابت السيدة لترانغ بهدوء: نعم، هذا صحيح.

- هل أستطيع أن أعرف الدافع إلى تلك الزيارة؟

- كانت الزيارة لمسألة شخصية.

- أنا آسف، ولكن عليّ أن أسألكِ عن طبيعة هذه المسألة.

- وأنا لن أجيبك، وكل ما أستطيع فعله هو أن أؤكّد لك أننا لم نقُل في تلك المقابلة كلمة واحدة يمكن أن تكون لها صلة بالجريمة.

- هذا أمر ليس من حقكِ تقديره.

- على كل حال ينبغي في هذه المرّة أن تقتنع بما أقوله.

- يبدو أنني ينبغي أن أقتنع بكلامكِ في أمور كثيرة.

فأجابت وعلى شفتيها نفس الابتسامة الهادئة: يخيَّل إليّ هذا.

فصاح المفتّش وقد احمرّ وجهه: نحن بصدد جريمة قتل يا سيدة لترانغ، ويجب أن أعرف الحقيقة، وسأعرفها.

ثم دقّ المائدة بقبضة يده، ولكن السيدة لترانغ لاذت بالصمت فقال المفتّش: ألا ترين يا سيدتي أنك تضعين نفسك في مركز سيّئ؟

فأصرّت السيدة لترانغ على الصمت فقال المفتّش: سوف تُطلبين للإدلاء بأقوالك في التحقيق.

- حسناً، سوف أُدلي بأقوالي في التحقيق.

قالت ذلك دون اكتراث، فلم يجد المفتّش بدّاً من تغيير أسلوبه فسألها: هل كنت تعرفين الكولونيل بروثيرو؟

- نعم، كنتُ أعرفه.

- هل كنت تعرفينه جيّداً؟

فترددَت قليلاً قبل أن تجيب: أنا لم أرَه منذ عدّة أعوام.

- هل كنت تعرفين السيدة بروثيرو؟

- لا.

- معذرة، ولكن يجب أن أقول لك إن زيارتك كانت في وقت غير مناسب.

- أنا لا أتفق معك في ذلك.

- ماذا تعنين؟

فأجابت بوضوح: كنتُ أريد مقابلة الكولونيل وحده، ولم أكن أريد مقابلة زوجته أو ابنته لذلك تصرفتُ على النحو الذي تعرفه.

- لماذا تجنّبت مقابلة زوجة الكولونيل وابنته؟

- ذلك شأني.

- هل ترفضين الإدلاء بمزيد من الإيضاح؟

- نعم، كلّ الرفض.

فوقف المفتّش وقال بحدّة: أنت تضعين نفسك في مركز حرِج يا سيدتي، فكوني على حذر.

فقهقهَت السيدة لترانغ ضاحكة، وشعرتُ في تلك اللحظة بأنه كان ينبغي عليّ أن أحذّر لاندرومي وأن أقول له إن السيدة لترانغ ليست المرأة التي يسهل إرهابها، فقال لينقذ ماء وجهه: على كلّ حال قد أعذر من أنذر. إلى اللقاء يا سيدتي، وثقي أننا سنعرف الحقيقة.

ثم انصرف، فنهضت السيدة لترانغ ومدت يدها إليّ وهي تقول: أظنّ أنه يحسن بك أن تنصرف؛ فلم تعُد بي حاجة إلى نصائحك. لقد عرفت طريقي.

* * *

الفصل السادس عشر

ما كدتُ أغادر بيت السيدة لترانغ حتى التقيت بالطبيب هايدوك عند باب الحديقة، فسألني وهو يغمز بعينه ويومئ نحو المفتّش: هل استجوبها؟

- نعم.

- وهل كان مؤدَّباً؟

والأدب فنّ يجهله لاندرومي تماماً، ولكنني لم أشأ أن أوغر صدر هايدوك عليه فأجبته بأنّ سلوكه كان ممتازاً، فهزّ هايدوك رأسه ثم رأيتُه يدخل البيت، أما أنا فقد سِرت في الطريق إلى القرية، وما لبثتُ أن لحقتُ بالمفتّش الذي كان يبدو أنه تعمد الإبطاء في سيره، وعلى الرغم من كراهيته لي فهو لم يكن الرجل الذي يحفل بمشاعره الخاصة إذا كان الأمر يتعلق بالحصول على معلومات مفيدة، ثم سألني: ماذا تعرف عن تلك السيدة؟

- لا شيء.

- ألم تتحدث عن الأسباب التي حملَتها على الإقامة في هذه القرية قط؟

- نعم، لم تفعل.

- أنت تتردّد عليها بين وقت وآخر، أليس كذلك؟

- زيارة رعايا كنيستي هو أحد واجباتي.

ولم أشأ أن أقول له إنها هي التي أرسلت في طلبي، وصمت المفتّش فترة ثم قال: كل هذا يبدو مريباً.

- ماذا تعني؟

- أعني أنه لن يدهشني أن يكون محور القضية كلها هو الابتزاز.

كانت فكرة شاذّة لا يمكن أن يصدقها أحد ممن يعرفون بروثيرو، ومع ذلك فكلّ شيء ممكن، ولن يكون بروثيرو أول رجل يعيش حياة مزدوجة، وأذكر أن ماربل لمّحت مرة إلى هذا المعنى فقلتُ: أتظن ذلك؟

- أنا لا أظن شيئاً، ولكن القرائن كلها تشير إلى ذلك، وإلاّ فلماذا تُقدِم سيدة مجتمع مثل السيدة لترانغ على دفن نفسها في قرية حقيرة كهذه؟ ولماذا ذهبَت لمقابلة بروثيرو في وقت غير مألوف؟ ولماذا تجنّبَت مقابلة زوجته وابنته؟ هذه عملية ابتزاز ما في ذلك شك، والابتزاز جريمة يعاقب عليها القانون بصرامة، ولذلك قلّما يعترف بها المتهَمون، ولكننا سنعرف كيف نرغمها على الاعتراف، وإذا ثبت أن في حياة بروثيرو سرّاً مشيناً وأن تلك السيدة تستعمل ذلك السرّ لابتزاز أمواله فإن التحقيق لا بدّ أن يتجه وجهة جديدة ومختلفة تماماً. والآن سأذهب لاستجواب الخدم؛ فقد يكون أحدهم قد سمع طرفاً من الحديث الذي دار بين الكولونيل والسيدة لترانغ.

- سأذهب معك لأنني أريد التحدث إلى السيدة بروثيرو.

- في أيّ موضوع؟

- في موضوع الجنازة.

- آه، جلسة التحقيق في أسباب الوفاة ستُعقد يوم السبت.

- أجل، وهكذا يمكن تشييع الجنازة يوم الثلاثاء.

* * *

يبدو أن المفتّش قد أسف على خشونته معي ثم أراد أن يكسب مودّتي، فقدم لي غصن الزيتون في شكل دعوة لشهود استجواب سائق السيارة، وكان السائق شابّاً وديعاً في نحو الخامسة والعشرين، وقد مثُل أمام المفتّش وعلى وجهه دلائل الخوف والرهبة، فابتدره لاندرومي بقوله: أريد أن أعرف منك بعض المعلومات. هل أنت الذي قُدت سيارة الكولونيل إلى القرية؟

- نعم يا سيدي.

- كم كانت الساعة؟

- الخامسة والنصف.

- وهل ذهبَت السيدة بروثيرو مع زوجها؟

- نعم يا سيدي.

- هل ذهبتم إلى القرية مباشرة؟

- نعم يا سيدي.

- ألم تتوقفوا في الطريق؟

- نعم يا سيدي، لم نتوقف.

- ماذا فعلتم لدى وصولكم؟

- غادر الكولونيل السيارة قائلاً إنه لن يكون بحاجة إليّ وإنه سيعود سيراً على الأقدام، أما سيدتي فقد تسوّقَت ووضعت بعض اللفائف في السيارة، ثم عدت بمفردي إلى البيت.

- تعني أنك تركتَ السيدة بروثيرو في القرية؟

- نعم يا سيدي.

- كم كانت الساعة وقتئذ؟

- كانت السادسة والربع تماماً.

- وأين تركتها؟

- أمام الكنيسة يا سيدي.

- هل قال لك الكولونيل إلى أين سيذهب؟

- قال إنه سيذهب إلى الطبيب البيطري بشأن أحد جياده.

- حسناً، أظن أن هذا يكفي.

ثم نظر بعيداً فجأة وقال: آه، ها هي الآنسة بروثيرو.

وأقبلَت ليتيسيا نحونا وهي تسير ببطء ثم قالت تحدّث السائق: أرجو أن تُعدّ السيارة فسنخرج بها.

- حسناً يا سيدتي.

ثم هرول إلى الخارج وهمّت ليتيسيا بأن تتبعه فقال لاندرومي: صبراً لحظة يا آنسة، أنا أسعى إلى معرفة كيف قضى كل فرد في تلك القرية وقته بعد ظهر أمس، لذا أرجو أن لا تجدي في ذلك مساساً بك.

فحملقت إلى وجهه وقالت: أنا لا أعرف في أيّ وقت فعلتُ أيّ شيء.

- أعتقد أنكِ خرجت بعد الغداء.

فأومأت برأسها علامة على الإيجاب فقال: وإلى أين ذهبت؟

- ذهبتُ لألعب التنس.

- مع من؟

- مع هارتلي نابيير.

- في بنهام، أليس كذلك؟

- بلى، في بنهام.

- ومتى عدت؟

- لا أعلم، وقد قلتُ لك إنني لا أذكر شيئاً عن الوقت.

فقلتُ: لقد عدت نحو الساعة السابعة والنصف.

- ربما، فعندما عدتُ كانت آن في حالة انهيار عصبي وكانت غريزلدا تواسيها.

فقال المفتّش: سأذهب الآن لاستجواب الخادمات.

وافترقنا أنا والمفتش، حيث ذهب هو إلى جناح الخدم في حين صعدتُ أنا إلى الطابق العلوي حيث قابلتُ السيدة بروثيرو وتحدّثنا بشأن الجنازة، وفجأة قالت: ما أكرم صديقك الطبيب هايدوك!

- إنه خير من عرفتُ من الرجال.

- أخبرني يا سيد كليمنت، إذا كان زوجي قد قُتل في أثناء وجودي في بيتك، فكيف لم أسمع صوت الطلق الناري؟

- ثمة دلائل على أنه قُتل بعد انصرافك.

- ولكن الرسالة كتب فيها «الساعة السادسة وعشرون دقيقة».

- هذه الكلمات كتبَت بخطّ آخر، لعلّه خط القاتل نفسه.

فظهر الخوف عليها وغمغمت قائلة: يا إلهي! هذا مخيف.

- ألم تلاحظي أن تلك الكلمات قد كتبت بخط مختلف؟

- يُخيَّل إليّ أن الخطاب نفسه لم يكن بخط زوجي.

كانت ملاحظة صحيحة، فقد كان خطّ الرسالة مضطرباً ولا يكاد يُقرأ على عكس ما أعرفه من وضوح خط بروثيرو فسألَتني: هل أنت واثق من أن لورنس لم يعُد موضع ريبة؟

- أعتقد أنه بمنأى عن كلّ اتهام.

- من تظنه القاتل يا سيد كليمنت؟ أنا أعرف أن زوجي لم يكن محبوباً، ولكنني لم أكن أعلم أن له أعداء، أو على الأقل هذا النوع من الأعداء.

- الحق أنه أمر محيّر.

وتذكرتُ حديث الآنسة ماربل حين قالت إن سبعة أشخاص على الأقل يمكن اتهامهم بقتل الكولونيل بروثيرو.

* * *

غادرت آن وفي نيّتي تنفيذ فكرة خطرَت لي، فسرتُ في الطريق الضيّق حتى وصلت إلى السور الخلفي لحديقتي، ثم قفلت راجعاً وولجت الغابة من مكان خُيّل إليّ أن أقداماً وطئته منذ وقت قريب، وشققتُ طريقي وسط الأشجار المتعانقة، وفجأة سمعتُ حركة على مقربة منّي فتوقفت عن السير ونظرت حولي، فوقع بصري على لورنس.

كان ممسكاً بحجر كبير، ولا بدّ أن دلائل الذعر كانت واضحة على وجهي لأنه انفجر ضاحكاً وقال: هذا الحجر ليس أداة جريمة ولكنه غصن زيتون.

- غصن زيتون!

- لعل الأفضل أن نسميه وسيلة تفاهم لأنني سأتوسل به لمقابلة الآنسة ماربل والتحدث إليها؛ فقد قيل لي إنه لا يوجد شيء يُدخل السرور على نفسها كحجر لحديقتها اليابانية.

- هذا صحيح، ولكن ماذا تريد منها؟

- حسناً، لو كان قد حدث بالأمس أيّ شيء يمكن رؤيته فمن المحقَّق أن الآنسة ماربل قد رأته، وكل شيء مهما بدا تافهاً ومنقطع الصلة بالجريمة فإنه يمكن أن يرشدنا إلى الحقيقة.

- على كل حال لن تكلفنا المحاولة شيئاً، وأنا مصمّم على متابعة هذه القضية حتى النهاية، من أجل آن.

- أنا لا أثق كثيراً في لاندرومي. لا شك أنه نشيط ولكن النشاط لا يُغني عن الذكاء.

- هل تريد أن تعمل شرطياً سرياً هاوياً؟ الهواة لا بأس بهم في القصص، أمّا في الحياة الواقعية فلا أظنهم يستطيعون منافسة المحترفين.

فنظر إليّ بخبث وقال وهو يضحك: وأنت أيها القس، ماذا كنت تفعل في الغابة؟ لقد راودَتك نفس فكرتي، أليس كذلك؟ لقد سألتُ نفسي: كيف استطاع القاتل الوصول إلى غرفة المكتب؟ فوجدت أنه يوجد طريقان: الممر الضيق، وطريق الباب الخارجي، ثم فكّرت في احتمال وجود طريق ثالث، وهو طريق الغابة، فشرعتُ في البحث عن مكان وطئَته الأقدام حديثاً، وسوف أواصل بحثي بعد أن أقابل الآنسة ماربل وأتحقّق من أن أحداً لم يأت من الممر في أثناء وجودنا في الحظيرة.

- ولكنها أكّدت أن أحداً لم يمرّ.

- أجل، لا أحد يهمّ التحقيق من وجهة نظرها، ولكن ربما مرّ ساعي البريد أو بائع اللبن أو صبيّ الجزّار، أو أيّ شخص آخر كان من الطبيعي أن يمرّ، ولذلك لم تُلقِ إليه بالاً.

ثم سرنا معاً في الطريق إلى بيت الآنسة ماربل، وكانت تعمل في حديقتها فرحّبَت بنا وشكرت للورنس اهتمامه بإحضار الحجر، وصارحها الشاب بوجهة نظره فقالت: أنا أفهم ما تعني، ولكنني أؤكّد لك أن أحداً لم يمرّ بذلك الطريق ليلة أمس.

ثم نظرَت إليّ وقالت: ماذا فعل مفتّش الشرطة اليوم؟

- إنه يقوم الآن باستجواب خدم الكولونيل على أمل أن يكون بينهم من سمع طرفاً من الحديث الذي دار بين الكولونيل والسيدة لترانغ.

- سيكون من بواعث الدهشة أن لا يجد منهم من سمع طرفاً من الحديث. الخدم يسترقون السمع دائماً، وأعتقد أن قصر بروثيرو هو أمل السيد ريدنغ الوحيد لمعرفة أية معلومة جديدة.

فقال لورنس: ولكن السيدة بروثيرو لا تعرف أكثر ممّا قالته.

- لستُ أعني السيدة بروثيرو، إنما أعني خادمات القصر ووصيفاته، فهنّ يخشين مصارحة شابّ وسيم مثلك، خصوصاً وأنهن يعلمن أنك كنتَ مهَتماً بارتكاب الجريمة.

فقال لورنس بحزم: سأقوم بمحاولة الليلة، وشكراً لك على أنكِ أوحيت إليّ بهذه الفكرة.

* * *

الفصل السابع عشر

فوجئتُ في صباح اليوم التالي بزيارة المفتّش لاندرومي، ولاحظتُ أنه أصبح أكثر مودّة لي ممّا كان قبلاً، فقد قال لي باهتمام واضح: لقد عرفتُ مصدر المكالمة الهاتفية التي استدعتك إلى مزرعة أبوت.

- حقاً؟

- العجيب أن تلك المكالمة صدرَت من بيت الضيافة من القصر القديم، وهو مبنى منعزل في حديقة القصر ولا يقيم به أحد في الوقت الحاضر، وقد وجدتُ إحدى نوافذه الخلفية مفتوحة، ولكننا لم نعثر على أية بصمات على جهاز الهاتف، فمن المحقَّق أنها أزيلت، وهذا دليل كافٍ على أن الغرض من المكالمة كان إبعادك عن البيت. لقد دُبّرَت الجريمة بإحكام، ولو كانت المكالمة لمجرد المزاح لما عُني المتكلم بإزالة كل أثر لبصمات أصابعه.

- هذا أمر واضح.

- وذلك يدل -أيضاً- على أن القاتل يعرف القصر القديم وأجنحته جيداً، ومن المؤكَّد أن السيدة بروثيرو ليست هي التي تكلمَت لأنني عرفتُ كيف قضَت كل دقيقة من وقتها في يوم

الحادث، أما الآنسة ليتيسيا فقد كانت وقت المكالمة في بنهام، فلا وجه للاشتباه بها إذن، أما الخادمات والوصيفات فلا غبار عليهن كذلك. لقد كن خائفات ومضطربات، ولكن ذلك أمر طبيعي.

- يُخيَّل إليّ أن كل جهودك قد أسفرت عن نتائج سلبية حتى الآن، أليس كذلك؟

- بلى، ونعم؛ فقد حدث شيء آخر غير منتظَر.

نظرتُ إليه متسائلاً فأجاب: هل تذكر المكالمة الهاتفية التي تلقّتها السيدة برايس ريدلي وتضمّنَت إهانة لها وتهديداً؟

- نعم، أذكرها.

- لقد بحثنا أيضاً عن مصدرها، فماذا تظنّنا وجدنا؟

- هل صدرت من هاتف عام؟

- لا يا سيد كليمنت، لقد كان مصدرها الكوخ الذي يقطنه لورنس ريدنغ.

فهتفتُ بدهشة: حقاً؟!

- نعم، وذلك يبدو عجيباً أيضاً، أليس كذلك؟ يجب أن تلاحظ أن لورنس لا ضلع له في الموضوع لأنه كان وقت المكالمة (وهو السادسة والنصف) في طريقه إلى الفندق مع الدكتور ستون، وقد قرر كثيرون أنهما أبصروا بهما، وعند استجوابه بشأن المسدس أكّد لورنس أنه اعتاد أن لا يغلق باب كوخه بالمفتاح، وأن كل أصحاب الأكواخ في المنطقة يفعلون ذلك، إذن فلا بدّ أن أحدهم تسلّل إلى الكوخ واستخدم الهاتف، ولكن من هو؟ لولا عامل

الوقت لرجّحتُ أن يكون الشخص الذي استخدم هاتف لورنس ريدنغ هو نفسه الذي سرق مسدسه وارتكب به الجريمة، ولكن ممّا يؤسَف له أن المكالمة والجريمة حدثتا في وقت واحد تقريباً، وهو الساعة السادسة والنصف.

- هل وجدتَ بصمات على هاتف لورنس؟

- لا.

وصمت قليلاً ثم سأل فجأة: ما قولك في تلك المرأة التي ذهبَت لزيارة بروثيرو قبل مصرعه؟

- تعني السيدة لترانغ؟

- نعم، لقد وضعتُها تحت المراقبة. هل تذكر ما قلتُه لك أمس من أنني أرجّح أن يكون الابتزاز هو محور الجريمة؟

- ليس من الضروري أن يكون الابتزاز دافعاً إلى الجريمة؛ فالمبتز لا يقتل الدجاجة التي تضع له بيضاً من ذهب.

- أصغ إليّ يا سيد كليمنت. تلك المرأة هي من طراز النساء اللاتي يندمجن في أرقى أوساط المجتمع ليستنزفن أموال الرجال. هَبْ أن تلك المرأة كانت على صلة بالكولونيل في وقت ما، وأنها عرفت بعض أسراره، وأنه هجرها، ثم مضت سنوات علمَت بعدها أنه يقيم في هذه القرية؛ فلحقت به إلى هنا وحاولت استغلال ما تعرف من أسراره لابتزاز أمواله، ثم هَبْ أنه رضخ لابتزازها بعض الوقت ثم ضاق بمطالبها وهدّدها بإبلاغ الأمر إلى السلطات، أفلا يكون الحلّ الوحيد لتجنّب تهمة الابتزاز هو التخلص من الكولونيل بأقصى سرعة وبطريقة لا تدع مجالاً للشك في أمرها؟

كان الاستدلال منطقياً ومعقولاً، ولكنني لم أستطِع التسليم به لسبب واحد، وهو شخصية السيدة لترانغ نفسها، فقلت له: أنا لا أؤيّد رأيك أيها المفتّش لأن السيدة لترانغ ليست من ذلك الطراز من النساء، بل هي سيدة عظيمة.

- لا عجب إذا كان هذا هو رأيك، فأنت قس، ولا تعرف عن الناس عُشر ما أعرف. تلك المرأة الأنيقة النبيلة المظهر تستطيع أن تُغمد خنجراً في صدرك دون أن يهتزّ لها هدب.

- لعلها تستطيع ارتكاب جريمة قتل، ولكنها لا ترتكب جريمة ابتزاز.

- سوف ترى في النهاية أنني كنت على حقّ.

* * *

ما إن انصرف المفتّش حتى قالت لي زوجتي إن الآنسة ماربل أرسلت في طلبي، وقد وجدتُ الآنسة ماربل في حالة يُرثى لها من الارتباك ذلك لأنها تلقّت مكالمة من ابن أخيها ريموند ويست الكاتب القصصي المعروف يقول فيها إنه سيصل في اليوم التالي ليقضي معها عطلة نهاية الأسبوع، وكان لا بدّ لها أن تُعدّ مكاناً وطعاماً خاصَّين.

وبعد أن فرغَت من إصدار أوامرها للخادمة التفتَت إليّ وقالت بصوت خافت: هل تعرف ماذا حدث أمس؟ لقد أصابني أرق ففتحتُ نافذتي لأتنسم الهواء، هل تعرف ماذا رأيت؟

ووومضَت عيناها ببريق غريب ثم استطردَت تقول: رأيتُ غلاديس كرام تسير نحو الغابة وبيدها حقيبة.

- حقيبة!

- أليس ذلك عجيباً؟ ماذا كانت تفعل بالحقيبة في الغابة في منتصف الليل؟

وتلاقت أعيُننا فقالت على الأثر: قد لا يكون لذلك صلة بالجريمة، ولكنه أمر لا يخلو من الغرابة.

- لعلّها ذهبَت إلى مكان الحفريات؟

- لا؛ فقد عادت بعد قليل ومرّت تحت نافذتي ولم تكن الحقيبة معها.

وتلاقت أعيُننا مرة أخرى.

* * *

الفصل الثامن عشر

عُقدت جلسة التحقيق في وفاة الكولونيل لوسيوس بروثيرو في إحدى قاعات الفندق برئاسة الطبيب روبرتس الذي جيء به من بنهام، ونظراً لأن هذه كانت أول جريمة تُرتكب في سانت ماري ميد منذ خمسة عشر عاماً وقد وقعت في بيت قس وذهب ضحيتها رجل ذو شخصية معروفة، نظراً لذلك فقد احتشدت القاعة بالمشاهدين من أهل القرية والمناطق المجاورة، كما جاء إلى القرية عدد كبير من مندوبي الصحف اللندنية والإقليمية.

لم يسفر التحقيق عن جديد، فقد أدلى الجميع بأقوالهم على النحو الذي سردتُه، فقرر لورنس أنه اكتشف الجثّة ووجد المسدس، وعرف أنه مسدسه الذي يضعه على رفّ خزانة الكتب، وأنه لم يتعود إغلاق باب كوخه بالمفتاح. وروت السيدة بروثيرو كيف أنها رأت زوجها لآخر مرة في الساعة السادسة إلا الربع عندما افترقا في القرية، وكيف أنها ذهبت إلى بيتي بعد ذلك بنحو نصف الساعة لكي تلحق بزوجها وتعود معه إلى بيتها، وكيف أنها لم تسمع حديثاً في المكتب ولم ترَ زوجها حين أطلّت إلى الداخل، ثم أجابت ردّاً على أسئلة المحقق بأن زوجها كان في حالة صحّية وعقلية عادية وأنها لا تعرف له أعداء يُضمِرون له سوءاً.

ثم جاء دوري فقلتُ إنني كنتُ على موعد مع الكولونيل في مكتبي ثم اضطُررت إلى الذهاب إلى مزرعة أبوت، وعندما عدتُ اكتشفتُ الجثة واستدعيتُ الطبيب هايدوك، ثم دُعي هايدوك فوصف الجثة والإصابة وقرّر بصورة حاسمة أن الكولونيل قُتل وهو يكتب، وأن الوفاة حدثت فيما بين السادسة والنصف والسادسة وخمس وثلاثين دقيقة، واستبعد فكرة الانتحار تماماً لأنه لم يكن في استطاعة الكولونيل أن يُحدِث بنفسه تلك الإصابة.

ثم أدلى مفتّش الشرطة بشهادة موجزة، فتحدّث عن وضع الجثة والرسالة التي وجدها والساعة المحطَّمة، ثم استمع المحقق بعد ذلك إلى أقوال ماري، ولم يشقّ عليها بالأسئلة بشأن صوت الطلق الناري. ثم دُعيَت السيدة لترانغ للشهادة، ولكنها أرسلَت شهادة طبية موقَّعاً عليها من الطبيب هايدوك تفيد أنها مريضة ولا يمكنها مغادرة الفراش. وبعد أن لخص المحقّق أقوال الشهود أصدر قراره باعتبار الحادث جريمة قتل، والفاعل مجهول.

* * *

وما كدتُ أغادر القاعة بعد انتهاء التحقيق حتى وجدتُ نفسي وسط جيش من الصحفيين، فوقع بصري على الدكتور ستون فاستنجدت به، واستطعنا بعد جهد أن نصل إلى غرفته بالفندق عن طريق الدرَج الخلفي.

كانت الآنسة كرام تعمل هناك على الآلة الكاتبة، وقال لي ستون إنها تكتب تقريراً وضعه عن حفريات في حدائق بروثيرو، ثم راح يحدّثني عن الفارق بينه وبين الكولونيل بروثيرو قائلاً: أعلم أنه مات وأن الإنسان لا ينبغي أن يذكر الموتى بسوء، ولكن الموت

لا يغيّر الحقائق، وقد كان بروثيرو داعياً عنيداً، فقد قرأ كتاباً أو كتابين فظنّ نفسه حُجّة في علم الآثار أمام رجل مثلي قضى كل حياته في تلك المهنة الشاقّة الجاحدة.

وأخذ يحدّثني عن الآثار حديثاً فنّياً مسهَباً أعترف أنني لم أفهم منه كلمة واحدة، وكان من الممكن أن يستمرّ في الحديث ساعات وساعات لولا أن قالت له الآنسة كرام: إذا لم تنتهِ فسيفوتك القطار.

فأمسك الدكتور ستون عن إتمام محاضرته ونظر إلى ساعته ثم هتف: يا إلهي! الساعة الثانية إلا ربع!

فقالت غلاديس كرام: دائماً تنسى الوقت كلما استرسلتَ في الكلام، والواقع أنني لا أعرف ماذا ستفعل دوني؟

- صدقت.

ثم نظر إليّ وقال: هذه فتاة ممتازة يا سيد كليمنت، فهي قلّما تنسى شيئاً، وكان من حسن حظّي حقّاً أنني قابلتها.

فقلت لنفسي: أولئك الذين يتوقعون زواج ستون بسكرتيرته لم يخطئوا، ومهما يكن الأمر فإن الفتاة ذكية وماهرة.

قالت له الفتاة مرة أخرى: أسرع وإلا فاتك القطار.

فهرول ستون إلى الغرفة المجاورة وغاب بداخلها بضع دقائق، ثم خرج حاملاً حقيبة ومظلة ومعطفاً وأغطية، وقال لي: سأقضي يومين في لندن، فأزور والدتي غداً وأقابل المحامي بعد غد وأعود يوم الثلاثاء. وبالمناسبة، لا أظن أن وفاة الكولونيل ستؤثّر على عملي في الحفريات، ولا شك أن السيدة بروثيرو لن

تعارض في استمرار نشاطي.

- لا أظن ذلك.

وسقطت منه المظلة فحاول التقاطها، ثم أفلت منه المعطف فسقط على الأرض، ولاحظتُ ارتباكه فتناولت المظلة والمعطف وقلت له: سأرافقك إلى المحطة.

وأراد أن يثنيني عن ذلك ولكني أصررت، فقال لي ونحن نهرول في الشارع: لم تبقَ سوى دقائق معدودات، أرجو أن لا يفوتني القطار.

ووصلنا إلى المحطة في لحظة خروج المسافرين القادمين من لندن، وكنّا نسرع الخطى فاصطدمنا بشابّ وسيم عرفتُ فيما بعد أنه ريموند ويست ابن أخي الآنسة ماربل، وقد ترنّح وكاد يسقط فاعتذرنا على عجل وواصلنا السير، ولم ألتقط أنفاسي إلا حينما استقر الدكتور ستون على مقعد في إحدى مركبات القطار.

* * *

الفصل التاسع عشر

عدتُ أدراجي لكي ألحق ريموند ويست، ولكنه كان قد اختفى، غير أنني لمحت لورنس ريدنغ في الطريق فأسرعتُ حتى لحقت به، وكان واضحاً أنه سُرّ بلقائي، فقد قال وهو متهلل الوجه: كم كنتُ متشوقاً لرؤيتك لكي أقصّ عليك مغامرتي في القصر القديم. هل تعلم أن الآنسة ماربل امرأة بارعة وعلى جانب عظيم من الذكاء؟

- هي بارعة حقاً، وهذا هو السبب في كراهية بعض الناس لها.

- لقد عملتُ بمشورتها فذهبتُ إلى القصر القديم ورجوتُ السيدة بروثيرو أن تيسّر لي مهمّة استجواب الخادمات، فدعت وصيفتها المدعوّة روز، وهي فتاة جميلة لعوب، فقالت لها إنني أريد أن ألقي عليها بعض الأسئلة، ثم تركَتنا وانصرفت، وبدأت في استجواب الفتاة في كياسة ولباقة عمّا إذا كانت قد سمعَت طرفاً من الحديث الذي دار بين الكولونيل والسيدة المجهولة التي زارته قُبَيل مصرعه، وبعد كثير من المناورة والمداورة وغير قليل من التودّد والإطراء اعترفَت بأنها لا تعرف عن هذا الموضوع إلا ما أسرّت به إليها زميلتها غلوريا التي تعمل مساعدة للطاهية،

والتي تسلّلَت في تلك الليلة لمقابلة صديق لها حيث مرّت من تحت نافذة غرفة المكتب فسمعَت بعض عبارات تمّ تبادلها بين الكولونيل والزائرة.

فأرسلتُ في طلب غلوريا، وبعد أن اشتركتُ مع روز في طمأنتها استطعتُ أن أقنعها بترديد العبارات التي سمعَتها فقالت: الواقع أنني لم أسمع الكثير، ولكن يبدو أن الكولونيل كان غاضباً، فقد سمعتُه يصيح: "أتأتين بعد كل هذه السنين؟" ولم أسمع جواب السيدة لأنها كانت تتكلم بصوت خافت، فقال سيدي: "أنا أرفض بشدّة". ويبدو أن السيدة كانت تريد مقابلة السيدة بروثيرو لأن الكولونيل صاح بعد ذلك: "هذه فضيحة، وما كان ينبغي أن تأتي إلى هنا لأنني لن أسمح لك بمقابلتها"، ثم تكلمَت السيدة بصوت خافت فلم أسمع ما قالت، ولكنني سمعت الكولونيل يصيح: "لا يهمّني ما قاله هايدوك. هذه مؤامرة".

فسألت غلوريا: ألم تسمعي ماذا قالت السيدة؟

- قالت في النهاية عبارة لن أنساها ما حييت! قالت بصوت رهيب: "غداً في مثل هذه الساعة قد تكون ميتاً"! لقد ارتجفتُ فزعاً عندما سمعتُ تلك العبارة، وقد قلتُ ذلك لروز.

* * *

صمت لورنس لحظة ثم قال: ذلك الحديث الذي سمعَته الخادمة يدلّ بوضوح على أن اللقاء بين بروثيرو والسيدة لترانغ لم يكن هادئاً، كما أن العبارة الأخيرة التي تفوّهَت بها السيدة لترانغ كانت تتضمّن تهديداً صريحاً، فما قولك في كل ذلك؟

فهززتُ رأسي ولم أجَب؛ لقد أسأل نفسي: ما دور هايدوك في ذلك كله؟ ولماذا منع السيدة لترانغ من الإدلاء بأقوالها في التحقيق؟ ولماذا يحرص على حمايتها من الشرطة؟ تُرى هل يعلم بأن لها ضلعاً في الجريمة؟ وهل يتستّر عليها؟

غير أن صوتاً في أعماقي كان يهمس لي: يستحيل أن ترتكب تلك المرأة الفاتنة ذات الشخصية القوية مثل هذه الجريمة.

فيجيب صوت آخر: ولم لا؟ هل لأنها امرأة فاتنة؟

* * *

الفصل العشرون

عندما عدتُ إلى البيت وجدت في انتظاري أزمة داخلية شديدة، فقد استقبلَتني غريزلدا بقولها: إنها سترحل.

- مَن؟

- ماري، وقد أمهلَتني أسبوعاً للبحث عن خادمة أخرى.

ولم يكن في ذلك ما يبعث على الانزعاج فأجبت: هذا حسن، سنبحث عن خادمة أخرى إذن.

والواقع أنني شعرت بالارتياح؛ فقد ضقت بالطعام غير الناضج وبالفطائر المحترقة، ولكن غريزلدا نظرت إليّ مؤنّبة وقالت: من السهل العثور على خادمة جديدة، ولكن ليس من السهل تدريبها.

- وهل كانت ماري حسنة التدريب؟ مَن عرض عليها أجراً أكبر ممّا تتقاضاه منّا سوف يندم على ما فعل.

- هذه مسألة كرامة، لا مسألة أجر. لقد دخلَت ليتيسيا غرفة المكتب للبحث عن قبعتها الصفراء، فعابت على ماري أنها لم تحسن تنظيف الغرفة وإزالة الغبار عن الأثاث، فغضبَت ماري وأصرّت على الرحيل. أرجوك يا ليونارد، حاول أن تسترضيها.

لم يكن من العسير عليّ أن أقنع ماري بأن ملاحظة ليتيسيا لا تقدّم ولا تؤخّر ما دام أصحاب الدار راضين عن عملها كل الرضا، ومن ثم اتجهتُ إلى قاعة المكتب لأعدّ موعظة الأحد، ولكنني ما كدت أدخلها حتى شعرت بأن في جوها شيئاً مريباً وبغيضاً، فأردت مقاومة هذا الإحساس قبل أن يستفحل ويتحوّل إلى عقدة تنفّرني من العمل في تلك الغرفة، فاقتربت من المقعد وتذكّرت على الفور أن بروثيرو كان يجلس على نفس هذا المقعد عندما أُطلقَت عليه الرصاصة التي أودت بحياته.

ثم أجلتُ البصر حولي. نعم، ها هو القلم الذي كتب به الرسالة، وها هي السجادة التي سال عليها دمه وترك فيها بقعة لا تزال واضحة رغم المحاولات التي بُذلت لتنظيفها، ولكن ما هذا؟ لقد وقع بصري على شيء أزرق يتألق عند أحد قوائم المكتب فانحنيت والتقطته. كان قِرطاً ذا زمرّدة زرقاء، فتذكرتُ على الفور أين رأيته آخر مرة.

وبينما كنت أفحصه دخلت غريزلدا لكي تقول: نسيتُ أن أقول لك يا ليونارد إن الآنسة ماربل قد دعتنا لقضاء السهرة مع ابن أخيها في بيتها، وقد قبلتُ الدعوة.

- حسناً فعلت أيتها العزيزة.

- ما هذا الذي بيدك؟

- لا شيء.

ووضعتُ القرط في جيبي.

* * *

الفصل الحادي والعشرون

لا أستطيع أن أقول إنني كنتُ يوماً ما أحد المعجبين بريموند ويست، فقد كان قاصّاً موهوباً وشاعراً لا بأس به، ولكنه كان ثقيل الظل وذا شخصية منفّرة. وقد تحدثنا معه في تلك السهرة عن الشِّعر والقصّة والجريمة، إلى أن قالت الآنسة ماربل في مناسبة ما: هل تعلم يا سيد كليمنت أن الآنسة كرام زارتني هذا المساء؟ الواقع أنني قابلتها في القرية مصادفة فدعوتها لمشاهدة حديقتي.

فسألَتها غريزلدا: هل هي من هواة فِلاحة البساتين؟

فأجابت الآنسة ماربل: لا أظن.

ثم غمزَت بعينها واستطردت قائلة: كانت دعوتي لها مجرَّد ذريعة للتحدث معها.

- وماذا قالت؟

- لقد تحدثَت طويلاً عن نفسها وأسرتها، ثم قالت إنها ستقضي نهاية الأسبوع في قصر بروثيرو، ولا أدري هل أقحمَت نفسها على السيدة بروثيرو أم أن السيدة بروثيرو قد دعتها لتستعين بها في الردّ على الرسائل العديدة التي وردت إليها. مهما يكن الأمر فسوف تستمتع الفتاة بإجازة طيبة في غياب الدكتور ستون.

فقال ريموند: الدكتور ستون؟ عالم الآثار المشهور؟

- نعم، فهو يقوم ببعض الحفريات في حدائق بروثيرو.

فقال ريموند: إنه عالم كبير، وقد قابلتُه في مأدبة عشاء منذ أيام ودار بيننا حديث طريف، وأنا متشوق إلى رؤيته مرة أخرى.

فأجبتُه: من سوء الحظ أنه سافر اليوم إلى لندن وسيقضي بها ثلاثة أيام، ولكن كيف لم تعرفه وقد اصطدم بك في المحطّة؟!

- بل أنت الذي اصطدمتَ بي، وكان برفقتك رجل بدين قصير القامة.

- ذلك هو الدكتور ستون.

- لا يا عزيزي القس، ذلك الرجل لم يكن الدكتور ستون.

- كيف؟!

- أنا أعرف الدكتور ستون جيداً، وأؤكّد لكَ أن الرجل الذي كان معك في المحطّة لا يشبهه من قريب أو بعيد.

فنظرتُ إلى الآنسة ماربل ونظرَت هي إليّ، ثم قالت بعد لحظة: ذلك يذكّرني بحادث الرجل الذي طاف بمنازل القرية زاعماً أنه مندوب شركة الكهرباء.

فصاح ريموند: هذا محتال ولا شك.

فقالت غريزلدا: تُرى هل لهذا الحادث صلة بجريمة قتل بروثيرو؟

فقالت الآنسة ماربل: ليس من الضروري أن تكون بينهما

صلة، ولكنه في ذاته حادث عجيب!

فقلتُ وأنا أنهض: أجل، حادث غريب حقاً، ويجب أن أبلغ المفتّش دون إبطاء.

* * *

الفصل الثاني والعشرون

ما إن اتصلت بالمفتّش لاندرومي وحدّثتُه عن ستون وعن الحقيبة التي شوهدت مع غلاديس كرام حتى طلب منّي أن أكتم الأمر عن كل إنسان، وخصوصاً الآنسة كرام، ريثما يبحث عن الحقيبة في الحفريات.

وفي اليوم التالي انتهيتُ من واجباتي في الكنيسة في الساعة الثامنة صباحاً ثم توجهتُ إلى البيت لتناول الفطور، وكانت غريزلدا تنتظرني في قاعة الطعام فقدّمَت لي رسالة جاءتها منذ قليل هذا نصها: "عزيزتي غريزلدا، أكون شاكرة إذا تفضّلت مع زوجك بتناول طعام الغداء عندي اليوم، فقد حدثَت أمور غريبة أودّ أن أستطلع كليمنت بشأنها، وأرجو أن لا تشيرا إلى هذه الرسالة عندما تحضران، فأنا لم أنبّئ أحداً بأنني كتبتُ إليكما. التوقيع: آن بروثيرو".

قالت غريزلدا: سنذهب طبعاً، أليس كذلك؟

فأومأتُ برأسي علامة على الموافقة فقالت: تُرى ماذا حدث؟ يُخيَّل إليّ أن هذه القضية لن تنتهي أبداً.

- لن تنتهي إلا إذا قُبض على القاتل.

* * *

ذهبنا إلى قصر بروثيرو حيث ذهب بنا أحد الخدم إلى قاعة الاستقبال فوجدنا الآنسة كرام. كانت مرحة وسعيدة، فرحبت بنا بحرارة ثم قالت: الحقّ أنني لم أحلم يوماً بالإقامة في مثل هذا القصر، ولكن السيدة بروثيرو كانت كريمة ولطيفة، فلم يُرضِها أن أقيم بالفندق وحدي وسط ذلك الجيش من الصحفيين؛ فدعتني إلى الإقامة معها بضعة أيام، خصوصاً وأنها في تلك الظروف بحاجة إلى سكرتيرة تتلقى المكالمات الهاتفية وتردّ على الرسائل.

ثم دُعينا إلى غرفة الطعام، وجاءت ليتيسيا بعد قليل فابتسمت لغريزلدا وحيّتني بإحناء رأسها قليلاً. كعادتها كانت جميلة فاتنة تعيش في دنيا الأحلام وترفض ارتداء ثياب الحداد. وبعد الطعام والقهوة قالت آن بكياسة: أريد أن أتحدث قليلاً مع القس. سأذهب به إلى قاعة الاستقبال.

فنهضتُ وتبعتُها إلى البهو، وهناك وضعَت إصبعها على شفتها محذرة، ثم أمسكت بيدي وسارت بي بهدوء حتى نهاية الدهليز، ثم ارتقت معي سلماً صغيراً أوصلنا إلى دهليز آخر! وهناك فتحَت باباً ودفعت بي إلى غرفة مترية مليئة بالأثاث المحطم واللوحات والثياب المهلهلة، ولاحظَت آن دهشتي فابتسمت ابتسامة حزينة وقالت: أولاً يجب أن أقول لك إنني لم أكن أنام في الأيام الأخيرة إلا قليلاً، أو لا أنام على الإطلاق، وفي وقت متأخر ليلة أمس حدث أنني سمعت حركة في البيت، فأرهفت سمعي جيداً ثم نهضت وغادرت غرفتي، وعندما وصلت إلى الدهليز تبينتُ أن الصوت صادر من الطابق الثاني لا من الطابق الأرضي، فوقفت عند الدرَج الذي ارتقيناه في التو واللحظة وصحت: "مَن هناك؟"، ولكنني لم أسمع جواباً، فظننت أنني كنتُ واهمة وعدت

إلى فراشي. وفي الصباح الباكر صعدتُ إلى هذه الغرفة بدافع الفضول، وإليك ما وجدت.

قالت ذلك وتناولَت لوحة مُسنَدة إلى الجدران ووضعَتها أمامي، فدُهشتُ وأفلتت من فمي آهة عبّرَت عن دهشتي وذهولي، فقد كانت اللوحة تمثّل صورة زيتية لشخص ما، وقد مُزق وجه الصورة تمزيقاً مخيفاً أضاع معالمه، وكان واضحاً أن التمزيق حديث فغمغمتُ قائلاً: هذا عجيب!

- أليس كذلك؟ بمَ تفسّره؟

- يُخيَّل إليّ أنه من فعل مجنون في ثورة غضب.

- هذا ما ظننتُه.

- ولكن صورة مَن هذه؟

- لا أعلم، ولم يسبق لي أن رأيتُها. عندما جئت إلى هذا القصر بعد زواجي وجدت كل هذه الأشياء هنا فتركتها كما هي ولم أحفل بها.

فشرعت في فحص اللوحات الأخرى، وكان بعضها يمثّل مناظر ريفية والبعض الآخر يمثّل نماذج للوحات مشهورة في إطارات رديئة الصنع، وكان بالغرفة أشياء أخرى مهمَلة بينها حقيبة كبيرة للثياب على غطائها حرفا السين والباء، ففتحتها، ولكنني لم أجد بداخلها شيئاً، ولم أجد أيّ أثر آخَر يمكن أن يرشدنا إلى شيء.

* * *

ذهبَت بي السيدة بروثيرو إلى قاعة الاستقبال وأغلقَت بابها وسألَتني: ماذا ينبغي أن أفعل؟ هل أبلغ الشرطة؟

فأجبتُ بعد تردّد: لا أدري إذا ما كان لهذا الحادث صلة بالجريمة أم لا.

- لا أظن ذلك.

- إذن فنحن حيال شرّ جديد.

ثم ساد بيننا صمت عميق قطعتُه أخيراً بأن قلت: هل لي أن أسأل ماذا في نيتك أن تفعلي؟

- سأقيم في هذا القصر ستة شهور أخرى على الأقل، فالتفكير في البقاء هنا يملؤني ذعراً، ولكن يجب أن أبقى وإلا قال الناس إنني فررت تحت وطأة الندم ووخز الضمير، وبعد الشهور الستة سأتزوج بلورنس.

- ذلك ما ظننتُه.

- أنت لا تعرف كم أنا مدينة لك يا سيد كليمنت؛ لقد جنّبتَني ما كان يمكن أن أشعر به من خجل بعد مصرع زوجي لو أننا فررنا معاً، ولكنك نصحتَ لنا بأن لا نفعل، ولذلك أنا مدينة لك بالشكر.

- لقد استرحتُ عندما قدّمتُ لكما هذه النصيحة.

- سوف تظلّ أصابع الاتهام تشير إلى لورنس ما لم يُقبض على القاتل، وهذا أحد الأسباب التي تحملني على البقاء هنا لأنني أريد أن أعرف الحقيقة.

ثم تألقَت عيناها ببريق العزم فسألتُها: وهل لذلك دعوت الآنسة كرام لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معكِ؟

- نعم، لقد لاحظتُ اضطرابها في جلسة التحقيق فأيقنتُ أنها تعرف شيئاً، وقررت أن أراقبها عن كثب.

- ألم تلاحظي أن الصورة مُزّقت في أول ليلة قضتها هنا؟

- وهل تظن أنها الفاعلة؟ ولكن لماذا؟ لا، لا، إنها لم تفعل ذلك.

وهنا تذكرتُ أمراً فأخرجتُ القِرط من جيبي وسألتُها: هذا قرطك، أليس كذلك؟

- آه، نعم. أين وجدته؟

ومدّت يدها لتتناوله، ولكنني أطبقتُ يدي عليه وقلتُ: هل يضايقكِ أن أحتفظ به بضعة أيام أخرى؟

- لا، إطلاقاً.

وظهرَت على وجهها دلائل الحيرة والفضول فقلتُ لأغيّر مجرى الحديث: هل لي أن أسألك عن مركزكِ المادّي؟ قد يكون ذلك فضولاً ولكن...

- ليس ذلك فضولاً يا سيد كليمنت، فأنتَ وزوجتك من أكرم أصدقائي عليّ وأحبّهم إليّ. لقد كان زوجي غنيّاً جداً كما تعلم، وقد ترك كل ثروته لي ولابنته بالتساوي، وكان هذا القصر من نصيبي، ولكن بوسع ليتيسيا أن تأخذ من أثاثه ما تريد إن شاءت أن تؤثث لنفسها بيتاً.

- هل تعرفين ماذا في نيّتها أن تفعل؟

- إنها لا تصارحني بما تعتزمه، ولكنني أعتقد أنها تنوي الرحيل في أقرب وقتٍ ممكن، فهي لا تحبّني، ولم تحبّني قط، رغم أنني بذلت قصارى جهدي لإرضائها.

فألقيتُ عليها سؤالاً مباشراً فقلت: وأنت؟ هل تحبينها؟

فلم تُجب على الفور ممّا أيّد اعتقادي بأنها امرأة صادقة ومخلصة، وأخيراً قالت: لقد أحببتُها في البداية حين كانت طفلة صغيرة جميلة، ولكنني لا أظنّ أنني أحبها الآن، وربما كان السبب أنها هي نفسها لا تحبّني.

وانتهى حديثنا عند هذا الحد، فنهضَت آن لتنضمّ إلى غريزلدا وغلاديس كرام في الحديقة، أمّا أنا فكانت لديّ مهمة يجب أن أؤديها، فقد كنت أريد مقابلة ليتيسيا على انفراد، فوجدتُها في غرفتها ودعتني للدخول فدخلت، وقلت وأنا أغلق الباب: أريد أن أتحدث إليك يا ليتيسيا.

فقالت بقلّة اكتراث: أنا مصغية إليك.

فأخرجتُ القرط من جيبي وقلتُ وأنا أعرضه عليها: لماذا تركت هذا القرط في مكتبي يا ليتيسيا؟

فوجمَت لحظة قصيرة ثم أجابَت بسرعة وبلامبالاة: أنا لم أترك شيئاً في مكتبك، وهذا ليس قرطي، بل هو قرط آن.

- أنا أعلم ذلك.

- إذن لماذا تسألني؟

– لم تذهب السيدة بروثيرو إلى بيتي بعد الجريمة سوى مرة واحدة، وفي تلك المرة كانت ترتدي ثياب الحداد، ولا أعتقد أنها كانت تتزين بقرط ذي زمردة زرقاء.

– لعلها فقدته في مكتبك في زيارة سابقة.

– ربما، ولكن أتذكرين متى تزيّنَت زوجة أبيكِ بهذا القرط آخر مرة؟

– وهل لذلك أهمية؟

– ربما.

– إذن سأحاول أن أتذكر.

ثم اعتدلَت في جلستها وقطّبَت جبينها، ولا أذكر أنني رأيتُها في أيّ وقت مضى أجمل ممّا كانت في تلك اللحظة! وقالت أخيراً: آه، تذكرت، لقد تزيّنَت به آخر مرة يوم الخميس الماضي.

– يوم الخميس الماضي هو اليوم الذي وقعَت فيه الجريمة، وفي ذلك اليوم ذهبَت السيدة بروثيرو إلى الحظيرة ولم تدخل البيت، وكل ما فعلَته أنها أطلّت إلى داخل غرفة المكتب.

– أين وجدتَ هذا القرط؟

– تحت مكتبي.

– إذن فهي لم تذكر الحقيقة.

– هل تعتقدين أنها دخلت غرفة المكتب؟

– هذا أمر واضح.

وتلاقت أعيننا لحظة ثم قالت: إذا أردتَ رأيي فأنا لا أعتقد أبداً أنها قالت الصدق.

- لا أظن ذلك.

- ماذا تعني؟

- لقد رأيتُ هذا القرط لآخر مرة صباح يوم الجمعة عندما حضرتُ إلى هنا مع الكولونيل ملشيت، وكان القرط موضوعاً على مائدة الزينة في غرفة زوجة أبيك.

فأشاحت عنّي بوجهها ثم انخرطت في البكاء، فتركتُها تبكي لحظة ثم سألتها بهدوء: لماذا فعلت ذلك يا ليتيسيا؟

- فعلتُ ماذا؟

ثم اعتدلَت جالسة فرأيتُ على وجهها دلائل الذعر فقلت لها: ماذا دفعكِ إلى هذا التصرف؟ هل هو الحقد عليها أم هي الغيرة منها؟

فصاحت بغضب: نعم، أنا أمقتها منذ وضعَت قدمها في هذا البيت، وأنا التي وضعتُ القرط في مكتبك على أمل أن يجرّ عليها ذلك بعض المتاعب.

فقلتُ لها إنني لن أنظر إلى محاولتها الفاشلة بعين الجدّ، وإنني سأعيد القرط إلى السيدة بروثيرو دون إيضاح، فتأثرَت لذلك وقالت باستكانة: هذا كرم منك يا سيد كليمنت.

وبذلك انتهى الحديث بيننا.

* * *

الفصل الثالث والعشرون

عندما أبلغتُ المفتّش لاندرومي بأمر الدكتور ستون المزعوم وحدّثته عن الحقيبة التي شوهدت مع الآنسة كرام في منتصف الليل اتجه تفكير المفتّش إلى الحفائر باعتبارها أصلح مكان لإخفاء الحقيبة. وخطر لي أن أتحقق من النتائج التي توصّل إليها رجال الشرطة فاتجهتُ إلى الحفائر، وقد وجدت الشرطي هيرست يشرف على عملية البحث فقال حينما رآني: لم نصل إلى نتيجة بعد، ولكن هذا أفضل مكان يمكن أن تخفي الفتاة الحقيبة فيه، أضِف إلى ذلك أنه نهاية الطريق الذي سلكَته في الغابة.

- أما كان من الأيسر أن يستجوب لاندرومي الفتاة مباشرة؟

- لم يشأ أن يُشعرها بشيء، ولكنها موضع مراقبة شديدة، ومن المحتمَل أن تكتب إلى ستون أو أن يكتب إليها ما يفضح سرهما، وقد صدرت التعليمات لمكتب البريد بضبط رسائلهما.

- ولكن الآنسة ماربل أكّدت أن الفترة بين مرور الفتاة تحت نافذتها ذهاباً وإياباً كانت وجيزة، وهذا يعني أن الفتاة لم يكن لديها متسع من الوقت للوصول إلى هنا.

- وهل تصدّق كلام تلك العجوز المخرّفة؟ ثم إن النساء

جميعاً لا يُحسنّ تقدير الوقت.

لكنني لم أقتنع بهذا الرأي، ولم أشأ مناقشته؛ فتركته بعد أن تمنّيت له التوفيق، ثم خطر لي في الطريق أن أقوم بمحاولة، فسرت في الممر الضيّق المؤدّي إلى الغابة، وحرصتُ على ملاحظة الأعشاب وأشجار العوسج على طول الطريق، فلفتت نظري بقعة تدل على أنها وُطئت حديثاً، فمشيت فيها وأمعنت في السير في جوف الغابة ثم شققت لنفسي طريقاً وسط الأغصان المتشابكة، وانتهيت أخيراً إلى بقعة جرداء خالية من العشب والأشجار.

وحول تلك البقعة كانت كثافة الأشجار وتشابكها تدل على أن أحداً لم يخترقها مؤخراً، وبينما أنا أجيل البصر حولي إذا بي أرى شيئاً يلمع تحت الأشجار، فذهبتُ إليه ومددتُ يدي، فأخرجت الحقيبة من مخبئها بعد جهد غير قليل، وأفلتت من فمي صيحة فرح؛ لقد نجحتُ فيما فشل فيه لاندرومي ورجاله.

وحاولتُ أن أفتح الحقيبة ولكنها كانت مغلَقة بالمفتاح، وعندما هممت بالنهوض وقع بصري على قطعة صغيرة من البلّور داكنة اللون، فتناولتُها بطريقة آلية ووضعتها في جيبي، ثم حملت الحقيبة وأسرعت بها في الطريق إلى البيت، وما كدتُ أعبر سور الحديقة حتى سمعتُ صوتاً يقول: أرى أنك وجدتها يا سيد كليمنت. ما أبرعك!

ولم يسعني إلا الاعتراف بأن لدى الآنسة ماربل موهبة خاصّة تجعلها ترى دون أن تنظر، فوضعتُ الحقيبة على السور الذي يفصل بين حديقتينا فقالت: هذه نفس الحقيبة التي رأيتها. هل هي مغلَقة يا سيد كليمنت؟

- نعم، وسأحملها توّاً إلى مركز الشرطة.

- أليس من الأفضل أن تتصل بهم هاتفياً؟ ستفلت إليك الأنظار إذا سرت بها في القرية.

وكانت ملاحظة وجيهة؛ فحملتُ الحقيبة إلى بيت الآنسة ماربل ثم اتصلت بالمفتّش هاتفياً فقال إنه سيحضر فوراً.

وبعد قليل جاء وهو ضيّق الصدر مكفهرّ الوجه، ثم قال لي وفي عينيه نظرة ارتياب: ألا تعلم أن الاحتفاظ بمثل هذه الأشياء مخالف للقانون؟ ما دمتَ تعرف مكانها فقد كان ينبغي أن تخطر جهة الاختصاص.

- لقد وجدتُها مصادفة، ولم يكن لي علم بمكانها.

فقال ساخراً: نعم، وجدتَها مصادفة في تلك الغابة الطويلة العريضة.

ثم أخرج من جيبه طائفة من المفاتيح أخذ يجرّبها في قفل الحقيبة حتى فُتح، وبدأت الحقيبة تخرج بما بداخلها: معطف أزرق وكوفيّة قذرة وقبّعة رثّة وحذاء ممزَّق، وكان المفتّش يتمتم وهو يخرج هذه الأشياء:قاذورات، قاذورات...

ولم يبقَ في قاع الحقيبة سوى لفافة صغيرة فتناولها وفتحها، ولقد كانت دهشتنا شديدة حين رأينا محتوياتها؛ كانت بها مجموعة رائعة من التحف الفضّيّة وطبق من نفس المعدن، فهتفت الآنسة ماربل: هذه تحف الكولونيل بروثيرو، وهذا الطبق يرجع عهده إلى عصر الملك شارل الثاني وكان بروثيرو شديد الاعتزاز به، فما معنى هذا؟

فقال المفتّش: معناه أن في الأمر حادث سرقة، وما يدهشني هو أن أحداً لم يبلّغ عن اختفاء هذه التحف.

فقلت: لعلّ أحداً لم يكتشف سرقتها بعد، وهذه التحف لها قيمة كبيرة، وربما كان الكولونيل قد أخفاها في إحدى خزائنه.

- يجب أن أميط اللثام عن الحقيقة. سأذهب إلى القصر فوراً، فهذا هو سبب اختفاء صديقنا ستون، ولا بدّ أنه توقع اكتشاف السرقة أو خشي أن نقوم بالتفتيش لاستجلاء غوامض جريمة القتل؛ فأوعز إلى سكرتيرته أن تخفي المسروقات في الغابة على أمل أن يعود لاستردادها ليلاً، وقد بقيَت السكرتيرة في القرية دفعاً للشبهات، ولكن يوجد أمر واحد محقَّق، وهو أن هذه السرقة لا علاقة لها بالجريمة.

قال ذلك ثم أعاد الأشياء إلى الحقيبة وحملها وانصرف بعد أن رفض تناول الشراب الذي قدّمَته إليه الآنسة ماربل، ولم يبدُ على الآنسة ماربل أنها اقتنعَت بتفسير المفتّش للحادث فقالت: قيمة تلك الأشياء ليست في معدنها، وإنما في أهميتها التاريخية، فإذا شاع أنها سُرقت فلن يُقدِم أحد على شرائها.

- ليتني أفهم ما تعنين.

- أعني أن تلك التحف لا بدّ أنها قد استُبدلت بتحف زائفة تشبهها، وإلا لكانت السرقة قد اكتُشفت، وأنا أذكر أن الكولونيل قال يوماً إنه سيستقدم أحد الخبراء من لندن لتقييم تحفه تمهيداً للتأمين عليها، وإذا جاء الخبير لاكتشف على الفور أنها تحف زائفة، ويومئذ لا بدّ أن يتذكّر الكولونيل أن ستون قد شاهد تلك التحف وعرف مكانها، وأنه كان كثير التردد على القصر تحت ستار

التنقيب عن الآثار، ولكن تُرى هل جاء ذلك الخبير؟

- فهمتُ ما تعنين، وسآتيك بالخبر اليقين.

فنهضتُ إلى الهاتف واتصلت بالقصر ثم قلت حين ردّت عليّ السيدة بروثيرو: مرحباً، آن؟ المفتّش في طريقه إليكِ، ولكن الأمر ليس خطيراً. أخبريني يا سيدتي، هل جاء خبير لتقييم التحف؟

وكان جوابها حاسماً وصريحاً فشكرتُها ووضعت السماعة، ثم قلت للآنسة ماربل: كان الكولونيل قد اتفق مع الخبير على الحضور يوم الإثنين، أيْ غداً، ثم أرجأ الخبير قدومه لوفاة الكولونيل.

فقالت الآنسة ماربل: إذن فقد كان لدى ستون دافع لقتل الكولونيل.

- أجل، كان لديه دافع، ولكن هل نسيت أن ستون كان يسير مع لورنس والسيدة بروثيرو في الوقت الذي سُمع فيه صوت الطلق الناري؟

- هذا صحيح، وهو كاف لتبرئته.

* * *

الفصل الرابع والعشرون

عندما عدتُ إلى البيت وجدتُ هاوس في انتظاري في قاعة المكتب، وكان يسير في القاعة جيئة وذهاباً وهو مستغرَق في التفكير، فأفزعه دخولي ثم قال وهو يجفّف العرق المتصبّب على جبينه: معذرة، فأعصابي متوترة منذ بعض الوقت.

- يجب أن تخلد إلى الراحة وإلا ساءت حالك يا عزيزي.

- لا أستطيع التخلي عن عملي، ولن أفعل ذلك أبداً.

- ومن طلب منك التخلي عن عملك؟ أنت رجل مريض وتحتاج إلى الراحة.

- على كل حال لقد جئت الآن لكي أرجوك أن تنوب عنّي في إلقاء موعظة هذا المساء، فأنا لا قدرة لي على إلقائها.

ثم أغمض عينيه وترنح قليلاً، وكان من الواضح أنه يعاني من أزمة ما، ويبدو أنه أدرك ما يدور بخلدي لأنه فتح عينيه على الفور وقال: ليس بي من شيء سوى ذلك الصداع المؤلم الذي يعذّبني. هلاّ أتيتني بكوب من الماء؟

- بكل تأكيد.

ثم أحضرت له الماء بنفسي، فشكرني ثم أخرج من جيبه علبة صغيرة تناول منها قرصاً وضعه في فمه وابتلعه مع الماء ثم قال: هذا عقّار لإزالة الصداع.

وهنا خطر لي احتمال أنه يتعاطى المخدرات؛ فذلك هو التفسير الوحيد لما يبدو من شذوذ حاله، والواقع أن اضطرابه زال بعد لحظة وبدا عليه الهدوء ثم قال: إذن ستلقي موعظة المساء نيابة عنّي، أليس كذلك؟ هذا كرم منك.

ثم أرسل بصره عبر النافذة وقال: لقد زارني السيد ريدنغ أمس، ولا أعلم لماذا.

- ألم يذكر لك سبب زيارته.

- قال إنه جاء ليراني فقط، فلا بدّ أنني أشعر بالوحدة، مع ملاحظة أنه لم يزُرني قبل ذلك قط.

فأجبتُه وأنا أبتسم: على كل حال هو شابّ جمّ الأدب حلو الحديث.

- ولكن لماذا جاء لزيارتي؟ ثم إنه قال إنه سوف يزورني مرة أخرى، فما معنى ذلك؟ وماذا يدور في رأسه؟

ثم قلب شفتيه وهزّ كتفيه وشكرني مرة أخرى واستأذن في الانصراف، فرافقته إلى الباب. وقابلتني ماري في البهو فقدّمَت لي رسالة قالت إنها وردَت منذ لحظات، فذهبتُ إلى مكتبي وفضضت الرسالة وقرأت فيها ما يلي: "عزيزي السيد كليمنت، لقد جاءني نبأ على جانب عظيم من الأهمية فأردتُ أن تكون أنت أول من يعلمه، ستجدني في انتظارك في أي وقت بعد ظهر اليوم. التوقيع:

أماندا هارتنل".

يا إلهي! أولئك النسوة لا تنتهي ثرثرتهنّ.

ونظرتُ إلى ساعتي فقررتُ أن أمرّ بالمفتّش لاندرومي في مركز الشرطة للوقوف على نتيجة مهمّته في قصر بروثيرو، فوجدته في مكتبه وأمامه الشقراء غلاديس كرام.

لقد كان يستجوبها، وكانت تنكرِ بشدّة أنها حملت الحقيبة وذهبت بها إلى الغابة. قالت: لقد أخطأت تلك العجوز هذه المرّة حين زعمت أنها أبصرَتني مع الدكتور ستون والسيد ريدنغ عقب الجريمة، فإذا كانت قد وقعَت في ذلك الخطأ في وضح النهار، فكيف استطاعَت التعرف عليّ في منتصف الليل؟

فقال المفتّش: وماذا إذا أكّد صاحب الفندق أن الحقيبة حقيبتك؟

- سيكون مخطئاً، فليس على الحقيبة اسم أو عنوان أو أية علامة تميّزها، وتوجد مئات من الحقائب تشبهها، أمّا اتهامك الدكتور ستون -مع كل ما يحمل من مؤهّلات- بأنه لصّ فذلك...

- أترفضين الاعتراف بأنكِ ذهبت بالحقيبة إلى الغابة؟

- لن أعترف بشيء لم أفعله، ولن أنطق بكلمة أخرى إلا في حضور المحامي. سأذهب الآن، ما لم تكن تريد إلقاء القبض عليّ.

فلم يسع المفتّش إلاّ أن ينهض ويفتح لها الباب لتخرج منه الفتاة مرفوعة الرأس، ثم قال المفتّش وهو يقلّب كفّيه: ها أنتَ ذا

ترى أنها تنكر كل شيء، ومن المحتمل أن تكون الآنسة ماربل قد أخطأت، ولن يوجد قاضٍ واحد يصدّق أنه من الممكن لإنسان أن يتعرف على إنسان من هذه المسافة. نعم، لا بدّ أن العجوز قد أخطأت.

- وماذا وجدتَ بشأن تحف القصر؟

- كلها موجودة، ولا بد أن بعضها زائف، لذا أرسلتُ في طلب أحد الخبراء من بنهام.

* * *

كان عليّ بعد ذلك أن أعرف النبأ الهامّ الذي تحدّثَت عنه السيدة هارتنل، فذهبتُ إلى بيتها، ويبدو أنها كانت ترقبني من نافذتها لأنها فتحت الباب قبل أن أدقّ الجرس، وشدّت على يدي بحرارة ثم رافقتني إلى غرفة صغيرة قالت إنها أفضل لحديثنا، وقدّمَت لي مقعداً وجلسَت على مقعد أمامي وبدأت الحديث بقولها: أنتَ تعلم أنني أستنكر النميمة وأكره الثرثرة، ولكني وجدتُ من واجبي في الظروف التي نعيشها الآن أن أقول للمفتّش إنني ذهبتُ لزيارة السيدة لترانغ يوم الجمعة ولم أجدها، وقد زعمَت السيدة لترانغ أنها كانت في بيتها وأنها لم تشأ استقبالي لسبب لم تذكره، وذلك غير صحيح لأنني لم أكتف بدقّ الجرس أكثر من مرّة، وإنما طفتُ حول البيت ونظرت من خلال النوافذ فلم أجد لها أثراً، وأمس أكّد لي من أثق في صدقه أنه رآها في يوم الجريمة فيما بين الساعتين السادسة والسابعة وهي تسير في الشارع الذي يقع فيه بيتك. هذا نبأ خطير، أليس كذلك؟

- هل ذكرته للمفتّش؟

- لا، أردتُ أن تكون أنتَ أول من يعلم به، ثم إن المفتّش رجل فظّ يصعب التفاهم معه.

- إذن دعي الأمر لي.

- أنا أؤدّي واجبي، ولا أنتظر شكراً من أحد.

* * *

الفصل الخامس والعشرون

كان لا بد لي من أن أقطع الشك باليقين في أمر السيدة لترانغ وصلتها المحتمَلة بمصرع بروثيرو، وخطر لي أن أتحدث بشأنها إلى الطبيب هايدوك، فذهبت إليه فوجدته في بيته، وخُيّل إليّ حين رأيتُه عابساً مهموماً أن السنّ تقدمَت به عشرة أعوام على الأقل خلال الأسبوع الأخير.

رحّب بي كعادته وسألني: هل من جديد؟

فرويتُ له ما كشفناه من أمر ستون فهتف قائلاً: يا له من محتال! إذن فقد اتخذ من الحفريات ذريعة لسرقة تحف الكولونيل! لقد لاحظتُ منذ البداية أنه لا يعرف عن علم الآثار إلا القليل، وقد لاحظ الكولونيل ذلك أيضاً، وكثيراً ما تحولَت الخلافات بينهما إلى مشاجرات عاصفة، ولكن ماذا عن الآنسة كرام؟ هل كانت شريكة له؟

- لم يتضح ذلك بعد، وأنا شخصياً لا أظنّها على هذا المستوى من الذكاء.

ثم حدّثتُه عن قلقي بشأن هاوس، فقلتُ له إنه يحتاج إلى راحة طويلة، وفجأة سألني هايدوك وهو يتفرّس في وجهي: أهذا

كل ما عندك؟

وحينئذ رويتُ له ما سمعتُه من السيدة هارتنل وما يُقال عن الشهادة الطبّية التي اتخذتها السيدة لترانغ حُجّة لعدم حضور جلسة التحقيق، وقد أصغى هايدوك إليّ باهتمام، وصمت طويلاً ثم قال: هذا صحيح يا كليمنت، هذا صحيح. لقد بذلتُ قصارى جهدي لأجنّب السيدة لترانغ كافّة المتاعب والمضايقات، فهي صديقة قديمة، ولكن الصداقة ليست الدافع الوحيد. إن الشهادة التي قدمتُها في جلسة التحقيق لم تكن مجاملة منّي لها كما تعتقدون جميعاً.

وأمسك عن الكلام لحظة ثم قال بلهجة جدية: سأقول لك سرّاً يا كليمنت، السيدة لترانغ مقضيّ عليها بالموت.

- كيف؟!

- إنها لن تعيش أكثر من شهر، فهل يدهشك بعد ذلك حرصي على تجنيبها مضايقات التحقيق؟ وعندما شوهدَت في ذلك الشارع في يوم الجريمة كانت في طريقها إلى بيتي هذا.

- ولكنك لم تذكر ذلك قط.

- ذلك لأنني لم أشأ أن تتناولها ألسنة السوء بالقيل والقال، فالجميع يعلمون أنني لا أستقبل المرضى بين السادسة والسابعة مساء، ولكن يجب أن تصدّقني حين أقول لك إنها كانت في طريقها إلى هنا.

- ولكنها لم تكن هنا حين استدعيتك عقب اكتشافي الجريمة!

- أجل، كانت قد انصرفت لأنها كانت على موعد.

- وأين كان هذا الموعد؟ في بيتها؟

- لا أعلم، أقسم لك بشرفي يا كليمنت إنني لا أعلم.

فصدّقتُه، ثم تذكرت القطعة البلّورية الداكنة التي وجدتُها في الغابة فأخرجتُها من جيبي وسألته: هل تعرف ما هذه؟

فتناولها وفحصها ثم أجاب: يبدو أنها قطعة متبلورة من حامض البكريك، وهو أحد مركبات النيتريك. أين وجدتَها بالله عليك؟!

- هذا سرّ من أسرار شرلوك هولمز.

فأطلق ضحكة مرحة فسألتُه: وما خصائص حامض البكريك؟

- ألا تعلم؟ إنه مادة متفجرة.

- أليست له استخدامات أخرى؟

- يُستخدم طبّياً كعلاج للحروق، ونتائجه مدهشة.

فقلتُ وأنا أستردّ القطعة: لست أدري إذا كانت لهذه القطعة أية أهمية أم لا، ولكني وجدتها في مكان لا يُتوقع فيه وجود البكريك.

* * *

الفصل السادس والعشرون

كانت الكنيسة غاصّة بالناس على نحوٍ لم يسبق له مثيل، وكان من غير المعقول أن يكون كل هؤلاء الناس قد جاؤوا لسماع موعظة هاوس، وعلى فرض أنهم علموا أنني الذي سألقي الموعظة فمن غير المعقول أن يزدحموا على هذا النحو! إذن فلا بدّ أنهم جاؤوا لكي ينظر بعضهم إلى بعض، ثم لكي يتبادلوا الأنباء ويتناقلوها بعد الخروج من الكنيسة.

ومهما يكن من أمر فقد رأيتُ هناك هايدوك الذي لم يتعوّد الحضور إلى الكنيسة، وكذلك لورنس بوجهه الشاحب وهاوس بنظراته الشاردة والسيدة بروثيرو، ولكن هذه كانت تتردد على الكنيسة باستمرار في أيام الآحاد، وكذلك رأيت ليتيسيا وغلاديس كرام، وجميع العوانس اللاتي ورد ذكرهنّ في هذه القصة. صفوة القول أن القرية كلها تقريباً كانت هناك.

كنت أحرص دائماً على إعداد موعظتي بعناية، ولكنني في هذه المرّة لم أجد بدّاً من الارتجال، وبدأت الموعظة بهذه العبارة: أنا لم آت لأدعو إلى الخير، وإنما أتيتُ لأدعو الخاطئين والمذنبين إلى التوبة.

وسمعت صوتي يدوّي في أرجاء الكنيسة وسط السكون الشامل وكأنه صوت إنسان آخر غير ليونارد كليمنت، ورأيت غريزلدا ترفع رأسها وتنظر إليّ بدهشة، فالتقطتُ أنفاسي وواصلتُ موعظتي، وتزاحمَت الأفكار في رأسي وتدفّقَت الكلمات من فمي في سهولة ويسر وكأنني أقرأ في كتاب مفتوح، ثم مددتُ إصبع الاتهام أكثر من مرة وأنا أهتف: أنتَ من أعني.

وفي كل مرة كنتُ أسمع آهات الأسى والندم.

ثم أنهيتُ موعظتي وغادرتُ الكنيسة والناس ما زالوا في أماكنهم وكأن على رؤوسهم الطير، وفي الخارج كانت غريزلدا في انتظاري فقالت وهي تتأبّط ساعدي: لقد كنتَ رائعاً ومخيفاً يا ليونارد! لقد خُيّل إليّ في لحظة ما أنني لا أعرفك! لماذا فعلتَ ذلك؟

- لا أعلم. قد يكون لأنني أشعر في أعماقي بكل ما في هذه القرية من شرور.

وقد وجدت في انتظاري رسالة من الآنسة ماربل تقول فيها: أودّ أن أحدّثك على انفراد عن أمور خطرَت لي، فمن واجبنا جميعاً أن نحاول إماطة اللثام عن سر تلك الجريمة المؤسفة. سأحضر لمقابلتك في مكتبك في الساعة التاسعة والنصف، وإذا لم يصلني منك ردّ فسأعتبر هذا الموعد قائماً.

كانت الساعة لا تزال التاسعة، فخطر لي أن أقضي الوقت في وضع جدول زمني لأحداث الجريمة بترتيب وقوعها. وفي الساعة التاسعة والنصف طُرق الباب ودخلت الآنسة ماربل، ثم قالت بعد أن جلسَت والتقطَت أنفاسها: لعلك تتساءل عن سبب اهتمامي

بتلك الجريمة رغم أن ذلك ليس من شؤون النساء، ولكن الواقع أن من يعيش في عزلة في قرية كهذه لا يلبث أن يشعر بالحاجة إلى ما يشغله. طبعاً يمكنه قراءة الكتب والتطريز والتصوير... ولكن هوايتي المفضَّلة كانت دائماً ملاحظة الناس ودراسة طبائع البشر، وتبدأ هذه الهواية عادة بتصنيف الناس وفقاً لطباعهم وأخلاقهم وسلوكهم، كما تصنَّف الطيور والزهور، ويا لها من متعة حقاً أن تكوّن رأياً عن أحد الناس ثم تثبت الأحداث صدق فراستك! والآن قبل أن أتحدث عن خواطري دعني أسألك: هل لديك جديد؟

فحدّثتُها عن الصورة الممزَّقة وعن رسالة السيدة هارتنل وموقف الآنسة كرام في التحقيق والحوار الذي دار بيني وبين هايدوك، وأخيراً عن مادّة البكريك التي وجدتُها ولا أعرف مدى أهميتها أو صلتها بالقضية التي نحن بصددها، ثم قدمتُ إليها الجدول الزمني الذي وضعتُه عن أحداث الجريمة، وكان كما يلي:

يوم الخميس الساعة ١٢:٣٠ أرجأ الكولونيل موعدنا من الساعة السادسة إلى الساعة السادسة والربع.

الساعة ١٢:٤٥ شوهد مسدس لورنس لآخر مرة في مكانه المألوف.

الساعة ٥:٣٠ تقريباً غادر الكولونيل وزوجته بيتهما واستقلاّ السيارة إلى القرية.

الساعة ٥:٣٠ بالضبط تلقّيتُ مكالمة هاتفية زائفة صادرة من بيت الضيافة في قصر الكولونيل.

الساعة ٦:١٥ أو بعد ذلك بدقيقة أو دقيقتين وصل

الكولونيل إلى بيتي وأدخلَته ماري إلى قاعة الاستقبال.

الساعة ٦:٢٠ وصلَت السيدة بروثيرو إلى الممر الخلفي واجتازت الحديقة وأطلّت من باب شرفة المكتب ولم ترَ زوجها.

الساعة ٦:٢٩ مكالمة هاتفية للسيدة برايس ريدلي صادرة من كوخ لورنس ريدنغ.

ما بين الساعة ٦:٣٠ و٦:٣٥ سُمع صوت طلق ناري.

الساعة ٦:٤٥ وصل لورنس ريدنغ إلى بيتي واكتشف الجثة.

الساعة ٦:٤٨ قابلت لورنس بالباب.

الساعة ٦:٤٩ اكتشفتُ الجثة.

الساعة ٦:٥٥ شرع هايدوك في فحص الجثة.

ملحوظة: الشخصان الوحيدان اللذان لم يقدّما حساباً مقنعاً عن تحركاتهما فيما بين الساعة ٦:٣٠ والساعة ٦:٣٥ هما الآنسة كرام والسيدة لترانغ، وقد أكّدَت الأولى أنها كانت في الحفائر، ويمكن الأخذ بأقوالها، أما الثانية فقد غادرت بيت الطبيب هايدوك في الساعة السادسة وبضع دقائق لتذهب إلى موعد، ولكن أين؟ ومع من؟ لقد شوهدت في الحقول وقت ارتكاب الجريمة، ولكنني لا أرى ما يدعوها إلى قتل بروثيرو، فهي لا تستفيد من موته، وكذلك أستبعد فكرة الابتزاز التي يتبنّاها لاندرومي، ذلك فضلاً عن استحالة حصولها على مسدس لورنس.

قرأَت الآنسة ماربل الجدول بعناية وقالت: الواقع أنك أوضحَت فيه كل شيء.

وهنا ألقيتُ عليها السؤال الذي يتحيّر على شفتي فقلت: بمن ترتابين يا آنسة ماربل؟ أذكر أنكِ تحدثت مرة عن سبعة أشخاص.

- الحلّ الصحيح لهذا اللغز هو الحلّ الذي يفسّر جميع الأحداث والملابسات يا سيد كليمنت، ولولا تلك الرسالة اللعينة...

- أية رسالة؟

- تلك التي وُجدت على المكتب. لقد قلتُ من البداية إنه لا يوجد ما يحيّرني سواها.

- ولكننا نعلم الآن أن الرسالة كتبت في السادسة والنصف، وأن يداً غريبة، لا شك أنها يد القاتل، هي التي أضافت عبارة «الساعة السادسة وعشرون دقيقة».

- في رأيي أن ذلك أيضاً لا يوضّح اللغز.

- كيف؟

- أصغِ إليّ.

ثم انحنت إلى الأمام وقالت بحدّة وحماسة: نحن نعلم أن السيدة بروثيرو اجتازت الحديقة وذهبت إلى شرفة قاعة المكتب وأطلّت من داخلها ونظرت إلى داخل القاعة، ولكنها لم ترَ الكولونيل.

- أجل، لأنه كان يكتب.

- هنا اللغز. لقد كانت الساعة وقتئذ السادسة وعشرين دقيقة، ونحن متفقون على أن الكولونيل لم يشرع في الكتابة إلا بعد السادسة والنصف لكي يقول في رسالته إنه لا يستطيع الانتظار أكثر ممّا انتظر، فلماذا جلس أمام المكتب في الساعة السادسة و٠٢ دقيقة؟

- الواقع أنني لم أفكر في ذلك.

- دعنا نستعرض الأحداث من البداية يا سيد كليمنت. لقد وقفَت السيدة بروثيرو عند باب الشرفة، ولا بدّ أنّها ظنّت أن غرفة المكتب خالية وليس بها أحد، ولولا ذلك لما جازفَت بالذهاب إلى الحظيرة لمقابلة لورنس، ولكي تظنّ أن الغرفة خالية لا بدّ وأن السكون كان شاملاً، وتوجد ثلاثة احتمالات لذلك: الأول أن يكون الكولونيل قد مات فعلاً، وهو ما لا أظنّه لأنه لم يكن قد قضى بالغرفة سوى خمس دقائق. والثاني أن يكون الكولونيل قد شُغل بالكتابة، وفي تلك الحالة لا بدّ أنه كان يكتب رسالة أخرى غير الرسالة التي وُجدت.

- والثالث؟

- والثالث هو أن يكون الكولونيل قد غادر قاعة المكتب لفترة من الوقت ثم عاد إليها مرة أخرى.

- ولكن لماذا؟

- ذلك ما يجب أن نبحث عنه.

ثم نهضَت واقفة وقالت: هذه هي الاحتمالات الثلاثة التي

يجب أن نفكر فيها.

ثم تنهدَت واقتربت من باب الشرفة وراحت تعبث بشجرة صغيرة في آنية هناك، ثم هتفت: هذه الشجرة توشك أن تذبل يا سيد كليمنت؛ إنها بحاجة إلى الماء، الكثير من الماء.

وهمّت بالعودة، ثم توقفَت فجأة وهتفَت وكأنها تتحدث إلى نفسها: آه، ما أشد غبائي! هذا واضح تماماً.

- ماذا قلت؟

- لا شيء، مجرَّد فكرة خطرت لي. والآن يجب أن أذهب لأواصل التفكير.

- ألا تحدّثينني عن هذه الفكرة التي خطرَت لك؟

- ليس الآن؛ فقد أكون مخطئة، ولكن لا أظن ذلك. إلى اللقاء يا سيد كليمنت، وشكراً لك.

- ألا تزال الرسالة هي العقبة؟

- الرسالة؟ الرسالة زائفة، وكان ذلك رأيي من البداية. إلى اللقاء.

* * *

الفصل السابع والعشرون

رافقتُ الآنسة ماربل إلى الباب، وبعد انصرافها حانت منّي التفاتة إلى صندوق البريد فوجدت به خطاباً فتناولته، وهممت بفضّه حين سمعت صوتاً يهتف: طاب مساؤك يا كليمنت. لقد عدتُ من المدينة الآن وخطر لي أن أتناول معك شراباً.

فوضعتُ الخطاب في جيبي وهرولت لاستقبال الكولونيل ملشيت ورافقته إلى مكتبي، ثم ذهبتُ لأُعدّ له قدحاً من القهوة، وعندما عدتُ وجدته واقفاً يفتل شاربه أمام المدفأة، وقال حينما رآني: سأخبرك بأعجب نبأ سمعته يا كليمنت. هل تذكر تلك الرسالة التي قُتل بروثيرو وهو يكتبها؟

- أذكرها جيداً.

- حسناً، لقد كلّفنا أحد الخبراء بفحصها لنرى ما إذا كان الشخص الذي كتب الرسالة هو نفسه الذي كتب الساعة والدقيقة أم لا، وقد قدمنا للخبير نموذجاً من خط بروثيرو، فهل تعرف ماذا كانت نتيجة الفحص؟ لقد أكّد الخبير أن الرسالة ليست بخط بروثيرو.

- هذا مخيف! أنا أذكر أن السيدة بروثيرو قالت لي شيئاً بهذا

المعنى، ولكنني لم ألقِ بالاً إليها، والأعجب من ذلك أن الآنسة ماربل قالت لي منذ لحظات إن الرسالة زائفة.

وفي تلك اللحظة دقّ جرس الهاتف فتناولتُ السماعة، وسمعتُ على الفور صوتاً ثاقباً يصيح: يجب أن أعترف، يجب أن أعترف، يا إلهي!

وانقطع الصوت فجأة فصرخت: مَن؟ مَن؟ يا للحظ اللعين! يا آنسة، لقد قُطعت المكالمة، ما رقم الهاتف الذي كان على اتصال بي منذ لحظة؟

فأجابت موظَّفة الهاتف بصوت هادئ عذب بأنها لا تعرف، فوضعتُ السماعة ونظرت إلى ملشيت وقلت له: لقد قلتَ يوماً إنك ستُجَنّ إذا تقدّم شخص آخر واعترف بأنه مرتكب الجريمة، هل تذكر؟

- نعم.

- هو ذا شخص حدّثني وقال إنه يريد أن يعترف، ولكن المكالمة قُطعت.

فوثب ملشيت إلى الهاتف وصاح: سأتصل بمكتب الهاتف فوراً.

- أرجو أن تفعل، ولعلك تكون أحسن حظّاً منّي، أما أنا فسأذهب؛ فقد خُيّل إليّ أنني عرفت صاحب الصوت.

* * *

الفصل الثامن والعشرون

سِرت مهرولاً في الشارع الرئيسي، وكانت الساعة قد قاربت الحادية عشرة والقرية ساكنة والشوارع مقفرة، ولكنني رأيتُ النور ينبعث من غرفة هاوس فطرقتُ باب البيت، وفتحَته صاحبته وهتفَت عندما رأتني: أهذا أنت يا سيد كليمنت؟!

- طاب مساؤك. أودّ مقابلة السيد هاوس، فقد رأيت نوراً في غرفته. ألم ينَم بعد؟

- لا أعلم، فأنا لم أرَه منذ حملتُ إليه طعام العشاء، ولكنه قضى أمسية هادئة ولم يزُره أحد.

فصعدتُ الدرَج وثباً، وكان هاوس يقيم في غرفة مؤثَّثة بالطابق الأوَّل، فوجدته مستغرَقاً في النوم على الأريكة وبجانبه علبة أقراص فارغة ونصف كوب ماء، ورأيت على الأرض رسالة مطوية فتناولتها وقرأت في بدايتها هاتين الكلمتين: عزيزي كليمنت...

وأتممت قراءة الرسالة وأنا لا أصدّق عينَيّ، ثم وضعتُها في جيبي وتناولت سماعة الهاتف وطلبت رقم هاتفي الذي تلقيت منه المكالمة المبتورة فكان مشغولاً، فرجوت عاملة الهاتف أن

توصلني بالرقم حالما يخلو، ثم وضعت يدي في جيبي لأتناول الرسالة وأعيد تلاوتها، فمسّت يدي الخطاب الذي كنتُ قد وجدته في صندوق بريد البيت فأخرجته من جيبي وفضضته.

كان مكتوباً بخط لا أعرفه وبغير توقيع، وقد قرأته مرتين ولم أفهم كلمة ممّا جاء به، وعندما هممتُ بقراءته للمرة الثالثة دقّ جرس الهاتف فتناولت السماعة كما لو كنت أحلم وقلت: مرحباً.

- مرحباً.

- أهذا أنت يا ملشيت؟

- نعم، أين أنت؟ لقد وجدتُ الرقم، إنه...

- أنا أعرف الرقم.

- هل تتحدث منه؟

- نعم.

- والاعتراف؟

- لقد حصلتُ عليه.

- هل قبضت على القاتل؟

وهنا وجدتني في حيرة لم أقع في مثلها طَوال حياتي، فنظرت إلى هاوس وإلى الرسالة التي وجدتها في غرفته وإلى علبة الأقراص ثم أجبت أخيراً: لا أعلم، يحسن بك أن تحضر.

وذكرتُ له العنوان ثم تهالكتُ على مقعد أمام هاوس في حيرة

فيما ينبغي عمله. كان أمامي دقيقتان فقط لكي أفكر وأقرر قبل أن يحضر ملشيت، فتناولتُ الرسالة للمرة الثالثة وقرأتها من أولها إلى آخرها، ثم أغمضت عينَيّ وانصرفت إلى التفكير.

* * *

الفصل التاسع والعشرون

لا أدري كم من الوقت بقيتُ جالساً هناك. كانت بضع دقائق، ولكن خُيّل إليّ أنها دهر، ثم فُتح الباب أخيراً ودخل ملشيت، وقد بدت عليه دلائل الدهشة حين رأى هاوس نائماً على الأريكة فهتف: ما معنى هذا؟

فمددتُ إليه يدي بالرسالة، فتناولها وقرأها ببطء وبصوت مرتفع فقال: "عزيزي كليمنت، أرى لزاماً عليّ أن أنهي إليك خبراً مؤلماً إلى أقصى حدّ، وقد أردتُ أن أحدّثك بشأنه، ثم آثرتُ بعد التفكير أن أبلغك به كتابة، وهو خاصّ بالاختلاسات التي تعرضَت لها أموال الكنيسة مؤخَّراً، ويؤسفني أن أقول لك إنني عرفت الفاعل بصفة أكيدة لا تدع مجالاً للشك، ورغم أنه يؤلمني أن أتّهم رجلاً من رجال الكنيسة فواجبي واضح وصريح ويجب أن...

وكفّ ملشيت عن القراءة ثم نظر إليّ. كانت العبارة الأخيرة قد انتهت بخطوط متعرجة غير مفهومة كما لو كانت اليد الممسكة بالقلم قد فقدت الحركة والحياة، فتنهّد ملشيت ونظر إلى هاوس مرة أخرى وقال: أخيراً وضعنا أيدينا على مفتاح السر، على الرجل الوحيد الذي لم يخطر لنا ببال! لا شك أنه اعترف بدافع الندم ووخز الضمير.

- لقد أذهلَتني غرابة أطواره في الأيام الأخيرة.

وفجأة تقدم ملشيت من هاوس وراح يهزّه بعنف وصاح: إنه ليس نائماً، يبدو أنه تناول مخدّراً. ما معنى هذا؟

ووقع بصره على علبة الأقراص فقلت: نعم، لقد تناول كمّية كبيرة فمات، وخيراً فعل.

ولكن ملشيت كان شرطياً قبل كل شيء، فهو لا يتأثر بالاعتبارات التي أضعها في حسابي. لقد وجد قاتلاً، ويجب أن يُشنق هذا القاتل، فأسرع إلى الهاتف وتناول السماعة وراح يدقّ الجهاز بعنف حتى استجابت إليه العاملة، فطلب رقم الطبيب هايدوك وصاح: مرحباً، الطبيب هايدوك؟ هل يستطيع الطبيب هايدوك القدوم فوراً إلى شارع هاي ستريت منزل السيد هاوس؟ الأمر عاجل. ماذا تقول؟ أيّ رقم هذا إذن؟ آه، أرجو المعذرة.

ثم التفت إليّ وقال: الرقم خطأ كما هي العادة، رغم أن الأمر يتعلق بحياة إنسان. مرحباً، مرحباً، قلتُ لكِ إنني أريد الطبيب هايدوك، رقم ٣٩ لا رقم ٣٥.

ثم قال بعد صمت قصير: أهذا أنت يا هايدوك؟ أنا ملشيت. تعالَ بسرعة إلى بيت هاوس؛ لقد تناول كمية كبيرة من عقّار مخدّر. أرجوك أن تسرع. فهي مسألة حياة أو موت.

ووضع السماعة وراح يذرع الغرفة جيئة وذهاباً، ثم قال وهو يتفرس في وجهي: لماذا لم تتصل بهايدوك فوراً يا كليمنت؟ هل فقدتَ حضور ذهنك؟

ولم يخطر بباله أنه من الممكن أن ينظر الإنسان إلى الأمور

من زاوية أخرى غير زاويته، ولم أجِبه فسألني: أين وجدتَ هذه الرسالة؟

- على الأرض، فلا بدّ أنها سقطت منه.

- من العجيب أن الآنسة ماربل كانت على حق حين قالت إن الرسالة التي وُجدت في مكتبك ليست هي الرسالة التي كتبها بروثيرو؟ هذه هي رسالة بروثيرو، وأصارحك فيما بيننا أن هذا الشاب كان مغفَّلاً إذ لم يتخلص من هذه الرسالة التي تُدينه وتُعَدّ أقوى دليل ضدّه.

- الطبيعة البشرية مليئة بالمتناقضات غير المفهومة.

- لولا هذه الرسالة لاستحالت علينا معرفة القاتل، ولكن المجرمين يرتكبون غلطة أو حماقة ترشد إليهم دائماً. لماذا أنت حزين يا كليمنت؟ هل صدمكَ هذا الحادث؟

- الواقع أنني لم أتصور قط أن...

- صه، أنا أسمع صوت سيارة تقف بالباب.

ثم أسرع إلى النافذة فأطلّ منها وهتف: هو ذا هايدوك قد جاء.

ودخل هايدوك فسرد عليه ملشيت الحقائق بإيجاز، فأسرع هايدوك إلى الشابّ وجسّ نبضه ونظر في حدقة عينه، ثم تحوّل إلى ملشيت وقال: هل تصرّ على إنقاذ حياة هذا الفتى لتدفع به إلى المشنقة؟ إنه مريض جداً، ولست واثقاً من أنه سينجو.

- ابذل قصارى جهدك.

- حسناً.

ففتح حقيبته وحقن ذراع هاوس ثم قال: من الأفضل الذهاب به إلى مستشفى بنهام، فهيّا لنتعاون على نقله إلى السيارة.

وحملنا هاوس إلى السيارة، وقال هايدوك وهو يجلس أمام عجلة القيادة: هل أستطيع أن أقول لك شيئاً يا ملشيت؟ أنت لن تستطيع شنقه.

- هل تعني أنه سيموت؟

- لا أدري، ولكنه إذا شُفي فلن يُعَدّ مسؤولاً عمّا فعل، وسوف أشهد على ذلك.

وحين كنّا نصعد الدرج سألني ملشيت: ماذا كان يعني؟

فأفهمتُه بأن هاوس كان مصاباً بمرض النوم، وما كدتُ أفرُغ من حديثي حتى وقعَت مفاجأة مذهلة، فقد فُتح باب الغرفة ودخلَت الآنسة ماربل، وكانت محتقنة الوجه بادية الانفعال ثم قالت: أرجو المعذرة عن هذا الإزعاج. طاب مساؤك يا كولونيل. لقد علمت بمرض السيد هاوس ورأيتُ من واجبي أن أعرض خدماتي.

فقال ملشيت: شكراً لك يا آنسة ماربل، ولكن كيف علمت؟

- لقد تحدثتَ إليّ خطأ ظنّاً منك أنني الطبيب هايدوك. أنا صاحبة الهاتف رقم ٣٥.

- آه، هذا صحيح.

- وهكذا جئتُ عسى أن أتمكن من عمل شيء.

- شكراً لكِ. لقد ذهب به هايدوك إلى المستشفى.

- آه، أستطيع أن أتنفس الصعداء الآن.

فقلتُ لها: انظري.

وقدمتُ إليها الرسالة التي لم يُتمّ بروثيرو كتابتها، فتناولتها وقرأتها، ولمّا لم يبدُ عليها شيء من دلائل الدهشة قلت لها: يخيَّل إليّ أنك كنت على صواب.

- أجل، ولكن هل تسمح لي بأن ألقي عليك سؤالاً يا سيد كليمنت؟ ماذا جاء بك إلى هنا الليلة؟ كنتُ أتوقع أن أجد هنا شخصاً سواك أنت والكولونيل.

فرويتُ لها قصّة الحديث الهاتفي، فهزّت رأسها ببطء وقالت: لقد أرسلَتكما العناية الإلهية في الوقت المناسب.

- المناسب لماذا؟

- لإنقاذ حياة هاوس طبعاً.

فقلت: ربما كان من الأفضل له وللجميع بعد أن عرفنا الحقيقة أن لا تُنقَذ حياته.

فهزّت رأسها وأجابت: طبعاً، طبعاً ذلك ما أراد هو أن تظنّوه. لقد أراد أن تعتقدوا بأنكم عرفتم الحقيقة، ولهذا كانت الرسالة والأقراص وحالة هاوس والاعتراف، ولكن ذلك كلّه زيف وخداع.

فنظرتُ إليها بذهول ودهشة، ولكنها مضت تقول: ولذلك

شعرتُ بالارتياح حين علمت أن هاوس قد نُقل إلى المستشفى لأنه سيكون بمأمن هناك، ومتى شُفي فسوف يقول لكم الحقيقة.

- الحقيقة؟!

- نعم، الحقيقة يا سيد كليمنت، والحقيقة هي أنّه لم يمسّ شعرة من رأس الكولونيل بروثيرو.

- والمكالمة الهاتفية؟ وهذه الرسالة؟ وهذه الأقراص؟ الأمر واضح كالشمس.

- قلتُ لكم إن ذلك هو ما أراد أن تعتقدوه. إنه ذكي واسع الحيلة، واحتفاظه بهذه الرسالة وطريقة استخدامه لها يدلاّن على ذكائه وسعة حيلته.

- من هو؟

- القاتل.

ثم استطردت تقول بهدوء: القاتل، لورنس ريدنغ.

* * *

الفصل الثلاثون

دُهشنا ونظرنا إلى الآنسة ماربل كما ننظر إلى شخص فاقد الصواب، ثم تكلّم ملشيت أخيراً فقال: غير معقول! لقد ظهرَت براءته وسقط عنه الاتهام.

- لقد فعل كل ما يستطيع لكي يصل إلى هذه النتيجة.

- على العكس، لقد فعل كل ما يستطيع لكي يُتّهَم بارتكاب الجريمة.

- طبعاً، طبعاً، تلك هي الحيلة التي خدعت الجميع، وأنا منهم. هل تذكر يا سيد كليمنت كم كانت دهشتي عندما علمتُ بأنه اعترف بارتكاب الجريمة؟ لقد أطاح اعترافه بكل أفكاري وتصوراتي وأقنعني ببراءته، فقد كنتُ موقنة بأنه القاتل قبل اعترافه.

- هل ارتبت فيه منذ البداية؟

- القاتل في القصص هو آخر شخص تتجه إليه الشبهات، ولكن هذه النظرية قلّما تصحّ في الحياة الواقعية، بل إن عكسها هو الأرجح. لقد كنتُ أحبّ السيدة بروثيرو، وعلمتُ أنها قد وقعت تحت سيطرة لورنس تماماً وأنها على استعداد لأن تفعل كل ما يطلبه منها، وطبيعيّ أنه ليس الرجل الذي يفرّ مع امرأة لا تملك

شيئاً، فكان من الضروري بالنسبة له أن يموت بروثيرو، ولذلك قتله، فهو من أولئك الأوغاد الظرفاء الذين لا أخلاق لهم ولا ضمير.

فقال ملشيت: ولكننا نعرف كيف قضى لورنس وقته حتى الساعة السادسة وخمس وأربعين دقيقة، فهل كذب هايدوك حين أكّد أن الجريمة لا يمكن أن تكون قد وقعت بعد الساعة السادسة والنصف؟

- لا، لم يكذب هايدوك، وكل ما قاله صحيح، ولكن لورنس ريدنغ ليس هو الذي أطلق الرصاص، إنما التي أطلقته هي السيدة بروثيرو.

فزدادَت دهشتنا ومضت الآنسة ماربل تقول: أنا لم أتكلم قبل الآن لأنني أعرف أن الكلام بغير دليل لا قيمة له، وقد وجدتُ ذلك الدليل الليلة حين وقع بصري على آنية زهور في شُرفة السيد كليمنت، وقد كانت الآنية هي مفتاح السر كله.

فنظر إليّ ملشيت وكأنه يقول لي إن هذه المرأة قد أصابها مسّ من الجنون، في حين استطردت الآنسة ماربل تقول بصوتها الهادئ المهذَّب: لقد شقّ عليّ في البداية أن أصدّق ما ذهبَت إليه ظنوني لأنني كنت أحبها، وعندما اعترف هو أولاً ثم اعترفَت هي ثانياً تنفستُ الصعداء، ثم شرعت في وضع قائمة بأسماء الأشخاص الذين يتمنون موت الكولونيل.

فقلتُ: الأشخاص السبعة؟

فنظرَت إليّ وابتسمت وقالت: نعم، الأشخاص السبعة، وكان أوّلهم آرثر الذي هدّد بروثيرو على ملأ من الناس، ثم

خادمتك ماري صديقة آرثر منذ وقت طويل، وكان في استطاعتها أن تقتل الكولونيل بمسدس لورنس لأن والدة آرثر تعمل في خدمة لورنس، ثم ابنته ليتيسيا التي تنشد الحرية والمال لتلهو كما تشاء، وهاوس، أو أنتَ أيها القس، أعني واحداً منكما.

- أنا؟

- نعم، أنت، ومعذرة فأنا لم أرتَب بك لحظة واحدة، ولكنني فكّرت في أمر المبالغ المختلَسة من أموال الكنيسة والتي لا يمكن أن يختلسها سوى أحد اثنين، أنت أو هاوس، وقد أشاعت السيدة برايس ريدلي في كل مكان أنك أنت المختلس، وكان دليلها اعتراضك الشديد على إجراء تحقيق، ثم يوجد لدينا العزيزة غريزلدا.

فصاح ملشيت: ليست حول السيدة غريزلدا أية شبهة، فقد عادت من لندن بقطار الساعة السادسة وخمس وخمسين دقيقة.

- ذلك ما قالته هي، ولكن الواقع أن قطار الساعة السادسة وخمس وخمسين دقيقة وصل متأخراً نصف ساعة، أيْ في الساعة السابعة وخمس وعشرين دقيقة، وقد رأيتُ غريزلدا بعينَي رأسي في الساعة السابعة والربع وهي في طريقها إلى قصر بروثيرو، ومعنى ذلك أنها عادت بقطار سابق لأنها شوهدت في مكان ما في الساعة السادسة. أظنك تعرف كل هذه الحقائق يا سيد كليمنت.

ورمقتني بنظرة لم أجد معها بدّاً من أن أقدّم إليها الخطاب الذي وجدتُه في صندوق البريد عقب انصرافها من مكتبي في تلك الليلة، وكان الخطاب من مجهول يقول فيه إن زوجتي شوهدت في يوم الجريمة وهي تخرج خفية من الباب الخلفي لكوخ لورنس

ريدنغ في تمام الساعة السادسة والثلث.

أنا لم أتحدث في ذلك اليوم أو بعده عن آلامي والشكوك التي ساورَتني حين قرأتُ هذا الخطاب، فقد تَطرّق إلى ذهني أن زوجتي ربما كانت على علاقة بلورنس، وأن بروثيرو علم بأمر تلك العلاقة وأراد أن يصارحني بها يوم جاء لزيارتي، ومن المحتمَل أن تكون زوجتي قد أدركَت ذلك بطريقة ما فأخذَت مسدس لورنس وقتلَت به بروثيرو. كانت هذه كلها مجرد شكوك أثارها ذلك الخطاب وعانيتُ منها آلاماً لا تُطاق.

قالت الآنسة ماربل وهي تعيد إليّ الخطاب: هذا نبأ يتهامس به الناس في القرية، ولكن لا أهمية له. والآن سأعود إلى الموضوع الرئيسي، وأعني به موضوع الجريمة. لقد ذهبَت السيدة بروثيرو وزوجها إلى القرية، وقد غاب عن الناس ملاحظة أمر عجيب، وهو أن السيدة بروثيرو لم تكن تحمل حقيبة، ومن غير الطبيعي أن تخرج إحدى السيدات بلا حقيبة، وقبل الساعة السادسة بقليل مرّت السيدة بروثيرو أمام حديقتي ووقفَت لتتحدث إليّ، وكان يهمّها أن ألاحظ أنها لا تحمل سلاحاً وأنها في حالة طبيعية. ثم اتجهَت السيدة بروثيرو إلى شرفة المكتب، وكان زوجها في تلك اللحظة يكتب إليكَ يا سيد كليمنت هذه الرسالة التي وجدتَها الليلة في غرفة هاوس، فمدّت السيدة بروثيرو يدها إلى إناء الزهور وتناولت المسدس الذي كانت تعلم أن لورنس خبّأه هناك، ثم تسللَت إلى داخل قاعة المكتب حتى وقفت وراء زوجها الأصمّ وأطلقت الرصاص على رأسه، ثم ألقت بالمسدس على الأرض ولاذت بالفرار إلى الحظيرة.

قال ملشيت معترضاً: وصوت الطلق الناري؟

- ألا يوجد جهاز لكتم الصوت؟ والآن سأتمّ حديثي. لقد لحق لورنس بالسيدة بروثيرو في الحظيرة، وكانا يعلمان أنني قد رأيتهما يدخلان، وأنني -بحكم الطبيعة البشرية- لا بدّ أن أنتظر حتى أراهما يخرجان، فخرجا وهما يتظاهران بالسعادة والمرح، وكانت تلك غلطة جسيمة، فإن شخصين اتفقا على الفراق وودّع كلّ منهما الآخر بعد أن تقابلا لآخر مرّة لا يمكن أن يشعرا بالسعادة والمرح، وفي الوقت نفسه لم يكن بوسعهما أن يبدوا قلقين مهمومَين حتى لا يؤخذ ذلك قرينة ضدهما عند التحقيق في مصرع الكولونيل.

وصمتت قليلاً وهي تنظر نحونا ثم قالت: المهم أن لورنس عاد إلى بيت القسّ بعد ذلك، ودخل قاعة المكتب ولم يغادرها إلا في آخر لحظة، ولا بدّ أنه ظل طَوال الوقت يرقب عودتك من خلال باب الشرفة، وبذلك تسنّى له العمل بهدوء وطمأنينة، فاستردّ المسدس والجهاز الكاتم للصوت، وعندما وضع الرسالة المزيَّفة وقع بصره على الرسالة التي قُتل بروثيرو وهو يكتبها، فقرأها وأدرك بذكائه احتمالات الإفادة منها، فوضعها في جيبه ثم عبث بعقربَي الساعة وجعلهما يتفقان مع الوقت المذكور في الرسالة، وكان الغرض من ذلك هو إثارة الشكوك حول السيدة بروثيرو، وعندما رأى القسّ مقبلاً اندفع إلى الخارج متظاهراً بالانفعال والجنون، والتقى بالقسّ عند الباب، وكان تظاهره هذا عملاً في منتهى الذكاء لأن أول ما يُعنى به القاتل -عادة- بعد ارتكاب جريمته هو أن يبدو هادئاً وطبيعياً، وقد كان لورنس عكس ذلك تماماً، وبعد أن تخلّص من كاتم الصوت ذهب بمسدسه إلى مركز الشرطة وقدّم نفسه واعترف بارتكاب الجريمة، وانخدع الجميع.

- والطلق الناري الذي قرر ثلاثة أشخاص أنهم سمعوه، هل كان مجرَّد مصادفة؟

فهزّت الآنسة ماربل رأسها بشدّة وقالت: لا، لم يكن مجرد مصادفة، بل كان لا بدّ أن يُسمع في ذلك الوقت بالذات وإلا ظلّت الشبهات تحوم حول السيدة بروثيرو، ولكن كيف دبّر لورنس ذلك؟ الواقع أنني لا أعلم بصفة مؤكَّدة، ولكنني أعتقد أن حامض البكريك يمكن أن ينفجر بحجر كبير في نفس البقعة التي عثرتَ فيها على بلّورات البكريك بعد ذلك، فمن الممكن أن يُدلّى الحجر من جذع شجرة فوق المكان الذي توجد فيه بلّورات البكريك، وإيصال الحبل الذي يتدلى منه الحجر بفتيل يستغرق اشتعاله فترة من الوقت محسوبة بدقّة، فإذا وصلت النار إلى الحبل وأحرقَته سقط الحجر على بلّورات البكريك ففجّرها.

ثم نظرَت إلى ملشيت وقالت: لقد دبّر لورنس الأمر بحيث حدث الانفجار في الساعة السادسة والنصف تماماً، أيْ حين كان هو والسيدة بروثيرو يخرجان من الحظيرة على مرأى من جميع الناس. تلك خطة محكمة لا تترك وراءها أثراً سوى الحجر، وقد رأيتَه بنفسك يا سيد كليمنت وهو ينقل الحجر من مكان الانفجار، وكان ظهورك أمامه مفاجأة له، ولكنه تخلص من المأزق بلباقة وبراعة فزعم أن الحجر لحديقتي اليابانية، وغاب عنه أن هذا النوع من الأحجار لا يصلح للحدائق اليابانية.

فقال ملشيت: كل هذا معقول يا آنسة ماربل، ولكن كيف تفسّرين مكالمة هاوس الهاتفية ورغبته في الاعتراف؟

- أظن أن الموعظة التي ألقاها السيد كليمنت لعبَت دوراً

في هذا الصدد. هل تعلم يا سيد كليمنت أنها كانت موعظة رائعة؟ فلا بدّ أنها تركَت في نفس هاوس أثراً عميقاً فضعف تحت ثقل الندم ووخز الضمير، وقرر الاعتراف باختلاس أموال الكنيسة، وشاءت إرادة الله أن يكون هذا القرار سبباً في إنقاذ حياته لأنني أرجو أن يتمكّن الأطباء من إنقاذ حياته، ويخيَّل إليّ أن لورنس قرأ رسالة بروثيرو جيداً وفهم منها أن المقصود هو هاوس، فجاء لزيارته واستبدل الأقراص التي يتناولها هاوس للعلاج بأقراص سامة أو مخدّرة، ثم وضع رسالة بروثيرو في جيبه حتى إذا مات ووُجدت الرسالة ظنّ الجميع أنه هو الذي قتل بروثيرو وأنه مات منتحراً، ولا بدّ أن هاوس قد شعر بتأثير السم بالإضافة إلى تأثير الموعظة فخشي أن يموت قبل أن يعترف وينال الغفران، فاتصل هاتفياً بالسيد كليمنت.

- وما قولك في المكالمة الهاتفية التي تلقّتها السيدة برايس ريدلي والتي ثبت صدورها من كوخ لورنس ريدنغ؟

- مدبرة تلك المكالمة هي العزيزة غريزلدا، وربما دبّرَتها بالاشتراك مع دنيس، ولا شكّ أنهما علما بالشائعات التي أطلقَتها السيدة برايس ريدلي ضدّ القس فقررا أن يلقّناها درساً، وربما وقع الاختيار على هاتف لورنس لأنهما يعلمان أنه لا يغلق باب كوخه.

فقال ملشيت: أعترف بأن تحليلك للأحداث منطقي ومعقول يا آنسة ماربل، ولكني ألاحظ أنك لم تقدمي دليلاً واحداً.

- هذا صحيح مع الأسف، ولكنك اقتنعتَ بوجهة نظري، أليس كذلك؟

- نعم، ولكن الاقتناع لا يُغني عن الأدلة.

- لقد خطر لي...

- ماذا؟

- خطر لي أننا نستطيع أن نُعدّ فخّاً.

* * *

الفصل الحادي والثلاثون

هتف ملشيت قائلاً: فخّ؟

فظهر التردد على وجه الآنسة ماربل، ولكن كان واضحاً أن لديها فكرة فقالت: من الممكن -مثلاً- الاتصال به هاتفياً وتحذيره، ومراقبة ردّ الفعل.

فبتسام ملشيت وقال: أجل، كأن يقول له بعضهم: "اهرب، فقد عُرفَت الحقيقة."، ولكن هذه خدعة بسيطة يا آنسة ماربل، ولا أحسب أنها تجوز على مجرم ذكي مثل لورنس.

- لنبحث إذن عن خدعة أخرى. هَبْ أن شخصاً معروفاً بالصدق والأمانة، كالطبيب هايدوك مثلاً، اتصل به هاتفياً وقال له إن السيدة سادلر صاحبة البيت الذي يقيم فيه هاوس أو أحد أولادها قد رآه وهو يستبدل أقراص الدواء بالأقراص السامّة، إذا حدث ذلك وكان لورنس بريئاً فإنه لن يعبأ بالنبأ.

- وإذا كان مذنباً؟

- إذا كان مذنباً فمن المحتمَل أن يُقدِم على حماقة ما تؤيد الاتهام.

– هذه فكرة حسنة يا آنسة ماربل، ولكن هل يوافق الطبيب هايدوك على الاشتراك في تنفيذها؟

– لقد قلت إنه إنسان صادق وأمين.

فقلتُ: لماذا لا نحاول؟

وحاولنا، وكانت النتيجة مذهلة، إذ صاح هايدوك بغضب: ويل للمجرم الأثيم. أنا لن أغفر له أنه كاد يودي بحياة شابّ مسكين يعول أمّاً وأختاً. تصوروا العار الذي كان سيحل بهاتين التعستين متى ذاع أن عائلهما ارتكب جريمة قتل ثم انتحر! هذا المجرم ليس جديراً بالحياة.

* * *

نجحت الخطة على نحو غير متوقَّع، فلم يكَد لورنس يتلقّى مكالمة هايدوك ويعلم أن أمره قد افتُضح حتى أخذ يفكّر في الفرار، ولكنه تذكّر أن له شريكة ينبغي تحذيرها، فاتصل بالسيدة بروثيرو هاتفياً وطلب منها انتظاره عند الحفائر لأمر هامّ.

ولم يفطن إلى أن هاتفه ومحادثاته كانت تحت مراقبة الشرطة، ولم يشعر بالشرطيَّين السريَّين اللذين تعقّباه وسجّلا ما دار بينه وبين شريكته من حديث، ولستُ في حاجة إلى سرد تفصيلات محاكمة لورنس وشريكته، فالقضية لا تزال ماثلة في الأذهان.

بقي أن أقول إن ليتيسيا زارتني في مكتبي في الأيام الأولى للقضية وصارحتني بأنها كانت واثقة منذ البداية من اشتراك آن في الجريمة، وأن القبّعة الصفراء التي زعمت فقدها لم تكن إلا ذريعة للبحث عن أدلة أو آثار قد تكون غابت عن رجال الشرطة، وأنها

عندما أعيتها الحيلة عمدت إلى وضع القرط في مكتبي للإيقاع بزوجة أبيها، وبررت ذلك بقولها أن الغاية تبرر الوسيلة.

سألتُها: ماذا في نيتك أن تفعلي الآن؟

فأجابت: عندما ينتهي كل شيء سأذهب إلى الخارج.

ثم أردفَت بعد تردّد قصير: مع أمي.

فألجمتني الدهشة ونظرت إليها متسائلاً فقالت: ألم تدرك أن السيدة لترانغ هي أمي؟ إنها مريضة بالسرطان ولا أمل في شفائها، وقد أرادت أن تراني قبل موتها، ولذلك جاءت إلى تلك القرية، وبذل الطبيب هايدوك قصارى جهده لمساعدتها لأنهما كانا صديقَين ولأنه كان يحبّها قبل أن تتزوج أبي، بل وأعتقد أنه لا يزال يحبها. وعندما ذهبَت أمي لزيارة أبي كان غرضها من الزيارة أن ترجوه في أن يسمح لها برؤيتي، ولكنه رفض وكان فظّاً غليظ القلب، ولم تجد أمي بدّاً من الكتابة إليّ وحدّدَت لي موعداً، وكان لقاؤنا الأول بين الحقول في الساعة السادسة والربع من مساء يوم الخميس، اليوم الذي حدثَت فيه الجريمة. وقد خفتُ فيما بعد أن تحوم الشبهات حول أمي، ولذلك عمدتُ إلى تمزيق صورة كانت لها في القصر خوفاً من أن يجد رجال الشرطة الصورة إذا قاموا بالتفتيش فتنكشف لهم حقيقة السيدة لترانغ وتزداد شكوكهم في أمرها.

فنظرت إليها بدهشة وأنا لا أصدّق أن ليتيسيا العابثة يمكن أن تفعل كل هذا، في حين أكملَت هي قائلة: وقد كان الطبيب هايدوك يعاني من مثل مخاوفي، بل لعلّه كان يعتقد أن أمي هي التي ارتكبَت الجريمة، فهو يعرف عنها الصلابة والعناد وأنها إذا

صمّمَت على أمر فعلَته دون أن تنظر إلى العواقب.

ثم نظرت نحوي وبدت في عينيها قوة وصلابة وهي تقول: رغم قصر العلاقة بيني وبين أمي إلاّ أنها أقوى من الصلة التي كانت بيني وبين أبي، وقد قرّرتُ أن أرحل معها إلى الخارج وأن ألازمها حتى يقضي الله في أمرها.

قالت ذلك ونهضت، فقلت وأنا أشدّ على يدها: أسأل الله أن يرعاك يا بنيتي وأن يهيّئ لكِ السعادة التي أنت جديرة بها.

فارتسمت على شفتيها ابتسامة حزينة وقالت: أرجو ذلك، لأنني لم أعرف حتى الآن طعم السعادة.

بقيَت كلمة أخيرة، فقد عاد الدكتور ستون المزعوم إلى القرية لاسترداد التحف التي سرقها من قصر بروثيرو فأُلقي القبض عليه وثبت أنه محتال ولصّ خطير، أما الآنسة كرام فقد اعترفت بإخفاء الحقيبة في الغابة وقالت إنها فعلت ذلك بحسن نيّة لأنها لم تكن تعرف محتويات الحقيبة كما لم تكن تعرف شيئاً عن حقيقة ستون، فأُطلق سراحها. وآخر ما سمعتُه عنها أنها تبحث عن شابّ ثري تعمل سكرتيرة عنده.

* * *

(النهاية)